39 سلسلة الدروس الثقافيّة

آمال العارفين...



مركز نون للتأليف والترجمة

شبكة المعارف الإسلامية www.almaaref.org

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org



... آمال العارفين

جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

بيروت . لبنان . المعمورة . الشارع العام

هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠

ص.ب. ٢٤/٥٣ . ٢٥/٣٢٧



الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

الكتاب:	... آمال العارفين
تأليف:	مركز نون للتأليف والترجمة
نشر:	جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة
	ربيع الثاني 1434 هـ - شباط - 2013 م





... آمال العارفين



مركز نون للتأليف والترجمة


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد للّه ربّ العالمين وسلام على عباده الذين اصطفى؛ محمّد وآله الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام، أنّه قال: «**من أُعْطِيَ الدعاء؛ أُعْطِيَ الإجابة... ثمّ قال** عليه السلام: **أتلوتَ كتابَ الله عزّ وجلّ: ... وقال:** ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1]»[2].

وحقيقة الاستجابة تكمن في الإقبال على اللّه تعالى بالدعاء بلسان القلب والفطرة، بحيث لا يخيب معها سائل. قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[3].

وأمّا علّة مطلوبية الدعاء؛ فلأنّ الدعاء مَظْهَرُ فقر الإنسان إلى اللّه تعالى واحتياجه إليه. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[4]. ومن المعلوم أنّ الفقر صفة دائمة في الإنسان (لأنّه صفة مشبّهة)؛ يعني: كما أنّ الممكن في حدوثه يحتاج إلى المؤثّر؛ فكذلك في بقائه؛ فكلّ شأن من شؤون الممكن

---

(١) غافر: ٦٠.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، ط٤، طهران، دار الكتب الإسلامية؛ مطبعة حيدري، ١٣٦٥هـ.ش، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب التفويض إلى الله...، ح٦، ص٦٥.

(٣) البقرة: ١٨٦.

(٤) فاطر: ١٥.

يحتاج إلى مدبّر غني، وما هو إلّا اللّه تعالى.

ومـن هـذا المنطلق، ينبغـي علينـا أن نواظب على قـراءة الأدعيـة المأثورة عن المعصوميـن عليهم السلام، وأن نتدبّر مليّاً في مضامينها وحقائقها النورانيّة، حتى تنعكس كمـالات ومظاهر جماليـة في نفوسنـا، وأن نتعلّم منها آداب الـكلام مع اللّه تعالى، وكيف ندعوه، وماذا نطلب منه؟!

ومـن الأدعيـة الهامّة في هـذا الصـدد: الدعـاء الشريف المروي عـن أمير المؤمنين عليه السلام؛ والمعروف بـ «**دعاء كميل**»؛ نسبة لراويه: كميل بن زياد النخعي، الذي تعلّمه من الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وقـد اشتهر هذا الدعـاء شهرة عند الشيعـة الإماميّة بلغت حـدّ تسالم كثير من العلماء على قراءته، وممّن ذكره منهم من المتقدّمين:

شيـخ الطائفـة: محمّد بن الحسـن الطوسي قدس سره (٣٨٥ـ٤٦٠ هـ.ق) في كتاب: «**مصبـاح المتهجّـد**»؛ حيث ذكـره مرسلاً[١] عن كميل بن زيـاد النخعي عن الإمام علي عليه السلام[٢].

السيد عليّ بن طاووس الحلّي قدس سره (٥٨٩ـ٦٦٤ هـ.ق) في كتاب «**إقبال الأعمال**»[٣].

الشيـخ إبراهيم بن علـيّ الكفعمي (٨٤٠ـ٩٠٥ هـ.ق) في كتابـي: «**المصباح (جنّة الأمان الواقية وجنة الايمان الباقية)**»[٤]، و«**البلد الأمين والدرع الحصين**»[٥].

وأمّـا راوي الدعـاء فهو: كميـل بن زياد النخعـي: عدّه الشيـخ الطوسي قدس سره في

---

(١) إنّ قوّة مضمون الدعاء المذكور وعمق معانيه بمثابة المنبّه على اعتباره وصحّة صدوره عن الإمام المعصوم عليه السلام؛ فتدبّر.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن: مصباح المتهجّد، ط١، بيروت، مؤسّسة فقه الشيعة، ١٤١١هـ.ق/ ١٩٩١م، دعاء الخضر عليه السلام، ص٨٤٤–٨٥٠.

(٣) ابن طاووس، علي: إقبال الأعمال، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، ط١، إيران، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٦هـ.ق، ج٣، ص٣٣١–٣٣٨.

(٤) الكفعمي، إبراهيم: المصباح (جنّة الأمان الواقية وجنّة الإيمان الباقية)، ط٣، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، ١٤٠٣هـ.ق/ ١٩٨٣م، ص٥٥٥–٥٦٠.

(٥) الكفعمي، إبراهيم: البلد الأمين والدرع الحصين، لاط، طهران، مكتبة الصدوق، ١٣٨٣هـ.ق، ص١٨٨–١٩١.

أصحـاب الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفـي أصحاب الإمـام الحسن المجتبـى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وعدّه الشيخ البرقي قُدِّسَ سِرُّهُ من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من اليمن. وعدّه الشيخ المفيد قُدِّسَ سِرُّهُ في كتابه الاختصاص من السابقين المقرّبين من الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، عنـد ذكر السابقيـن المقرّبين، ونقل في صدده في كتابه الإرشاد: «**لمّا وُلِّيَ الحجّـاج، طلـب كميل بـن زياد؛ فهرب منه، فحرم قومه عطاءهـم، فلمّا رأى كميل ذلـك قـال: أنـا شيخ كبيـر، وقد نفد عمـري، ولا ينبغـي أن أحرم قومـي عطاءهم، فخـرج فدفـع بيـده إلـى الحجـاج، فلمّا رآه قـال له: لقد كنـت أحـبّ أن أجد عليك سـبيلاً، فقـال له كميل: لا تصـرف عليّ أنيابك، ولا تهدم علـيّ، فوالله ما بقي من عمـري إلا مثـل كواسر الغبـار، فاقض ما أنت قاض، فـإنّ الموعد الله، وبعد القتل الحسـاب، وقـد خبّرني أميـر المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّك قاتلي، قـال: فقال له الحجاج: الحجّة عليك إذاً، فقال له كميل: ذاك إذا كان القضاء إليك، قال: بلى، قد كنت في من قتل عثمان بن عفان! اضربوا عنقه، فضربت عنقه! وهذا أيضاً خبر رواه نَقَلَةُ العامّـة عن ثقاتهـم، وشاركهم في نقله الخاصّة**». أقـول: جلالة كميل واختصاصه بأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من الواضحات التي لا يدخلها ريب[1].

ولهذا الدعاء فضل كبير وآثار جمّة تشهد لها الآثار المروية والتجربة؛ من استجابة الدعاء، وقضاء الحاجة، وزيادة الرزق، والأمن من العدو، وشمول المغفرة...:

ذكـر السيد ابـن طاووس قُدِّسَ سِرُّهُ فـي كتابه «**إقبـال الأعمـال**»: «**ومـن الدعوات فـي هـذه الليلـة [ليلـة النصف من شعبـان] ما روينـاه، بإسنادنا إلـى جدّي أبي جعفـر الطوسي (رضـي الله عنه) قال: روي أنّ كميل بن زيـاد النخعي رأى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعو بهذا الدعاء في ليلة النصف من شعبان. أقول: ووجدت في رواية أخرى ما هذا لفظها: قال كميل بن زياد: كنت جالساً مع مولاي أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في مسجد البصرة، ومعه جماعة من أصحابه، فقال بعضهم:**

(١) انظر: الخوئي، أبو القاسم: معجم رجال الحديث، ط٥، لام، لان، ١٤١٣هـ.ق/ ١٩٩٢م، ج١٥، ص١٣٢-١٣٣.

مـا معنـى قول الله عزّ وجـلّ: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾؟ قال عليه السلام : ليلة النصف مـن شعبـان، والذي نفس علي بيده؛ إنّـه ما من عبد إلا وجميع ما يجري عليه؛ مـن خيـرّ وشـرّ، مقسوم له في ليلة النصف من شعبـان إلى آخر السنة، في مثل تلك الليلة المقبلة، وما من عبد يحييها ويدعو بدعاء الخضر عليه السلام إلا أُجيب لـه. فلمّـا انصرف طرقته ليلاً، فقال عليه السلام : ما جاء بك يا كميل؟ قلت: يا أمير المؤمنيـن! دعـاء الخضـر، فقال: اجلس يا كميـل، إذا حفظت هـذا الدعاء فادع بـه كلّ ليلـة جمعـة أو في الشهر مرّة أو في السنة مـرّة أو في عمرك مرّة؛ تُكفَ، وتنصـر، وتـرزق، ولن تُعـدَم المغفرة. يا كميل! أوجب لك طـول الصحبة لنا أن نجود لك بما سألت»[1].

ومن هـذا المنطلق، عملنا على شرح معظم مقاطع هـذا الدعاء الشريف، ضمن سلسلة من الدروس (اثني عشر درساً)، بحيث يتضمّن كلّ درس:

- إيراد مقطعٍ من الدعاء.
- تحديد المفاهيم المحوريّة في هذا المقطع.
- شـرح أبرز مفردات هذا المقطع (الإرجاع إلى الجذر اللغوي، والاستفادة من الآيات والروايات في شرح المفردات).
- تحديد دلالة المقطع.

وقفـة تأمّليـة: تتناول بعض الآيات والأحاديـث المرتبطة بموضوع من المواضيع المطروحـة فـي المقطع المذكور، وتتوخّـى الحثّ على التفكّـر والتدبّر في مضامين النصوص المذكورة ومعانيها العميقة.

نتقـدّم مـن صاحب العصـر والزمان عجل الله فرجه الشريف بهـذا العمل المتواضع، عسـى أن يكون موضع عنايته الشريفة.

مركز نون للتأليف والترجمة

---

(١) ابن طاووس، م.س، ج٣، ص٣٣١-٣٣٨.

1

أوّل الدعاء المعرفة

اَللّـهُمَّ اِنّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْء، وَبِقُوَّتِكَ الَّتي قَهَـرْتَ بِها كُلَّ شَـيْء، وَخَضَعَ لَها كُلُّ شَـيء، وَذَلَّ لَها كُلُّ شَيء، وَبِجَبَرُوتِكَ الَّتي غَلَبْتَ بِهـا كُلَّ شَيء، وَبِعِزَّتِكَ الَّتي لا يَقُومُ لَها شَيءٌ، وَبِعَظَمَتِـكَ الَّتي مَلأَتْ كُلَّ شَـيء، وَبِسُلْطانِكَ الَّذي عَلا كُلَّ شَـيء، وَبِوَجْهِكَ الْباقي بَعْدَ فَنـاءِ كُلِّ شَيء، وَبِأَسْمائِكَ الَّتي مَـلأَتْ اَرْكانَ كُلِّ شَـيء، وَبِعِلْمِكَ الَّذي اَحاطَ بِـكُلِّ شَيء، وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذي اَضاءَ لَهُ كُلُّ شَيء.

المفاهيم المحوريّة:

١- معرفة المدعو شرط في الاستجابة.

٢- من صفات المدعوّ:

- الرحمة الواسعة.
- القوّة القاهرة.
- الجبروت.
- العلم المحيط.

شرح المفردات:

اللهُمّ: أصلها أَلِهَ: «الهمزة واللام والهاء أصل واحد؛ وهو: التعبّد. فالإله اللّه تعالى، وسُمِّيَ بذلك؛ لأنّه معبود»[١]. «قال أَبو إسحق: وقال الخليل وسيبويه وجميع النحويين الموثوق بعلمهم: اللهمّ؛ بمعنى: يا أَللّه، وإنّ الميم المشدّدة عوض مِن يا...»[٢].

(١) ابن فارس، أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، لاط، إيران، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.ق، ج١، مادّة «أَلِهَ»، ص١٢٧.

(٢) الإفريقي، ابن منظور: لسان العرب، لاط، قم المقدّسة، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.ق، ج١٣، مادّة «أَلِهَ»، ص٤٧٠.

أسألـك: أصلها سَأَلَ: «السين والهمزة والـلام: كلمة واحدة. يقال: سأل يسأل سؤالاً ومسألـة»[١]. و«السُّـؤَالُ: استدعاء معرفة، أو ما يـؤدّي إلى المعرفـة... والسُّؤَالُ للمعرفـة: يكون تارة للاستعلام، وتـارة للتّبكيت، [مثال الأوّل]قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ (التكويـر: ٨)... [مثـال الثانـي، قوله تعالـى:] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ (الإسراء: ٨٥)»[٢].

رحمتـك: أصلهـا رَحِمَ: «الراء والحاء والميم: أصل واحد يـدلّ على: الرقّة، والعطف، والرأفـة»[٣]. «والرَّحْمَــةُ: رقّـة تقتضي الإحسان إلـى الْمَرْحُوم، وقـد تستعمل تارة فـي الرّقّة المجـرّدة، وتارة في الإحسان المجرّد عن الرّقّـة، نحو: رَحِمَ اللّه فلاناً. وإذا وصـف بـه الباري فليس يراد بـه إلّا الإحسان المجـرّد دون الرّقّة... ولا يطلق الرَّحْمَــنُ إلّا علـى اللّه تعالى مـن حيث إنّ معنـاه لا يصحّ إلّا له؛ إذ هـو الذي وسع كلّ شـيء رَحْمَــةً، والرَّحِيمُ يستعمل في غيره؛ وهو الذي كثـرت رحمته، قال تعالـى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقـرة: ١٨٢)، وقال في صفة النبيّ ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

قـال تعالـى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ (الأعـراف: ١٥٦)؛ تنبيهـاً أنّها في الدّنيا عامّة للمؤمنيـن والكافرين، وفي الآخرة مختصّة بالمؤمنين»[٤].

قهـرت: أصلهـا قَهَرَ: «القاف والهاء والراء: كلمة صحيحـة تدلّ على غلبة وعلو. يقال: قهـره يقهره قهراً. والقاهر الغالـب»[٥]. و«القَهْرُ: الغلبة والتّذليل معاً، ويستعمل في

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٣، مادّة«**سَأَلَ**»، ص١٢٤.

(٢) الأصفهانـي، الراغب: مفردات ألفاظ القـرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط٢، قم المقدّسة، نشر طليعة النور؛ مطبعة سليمانزاده، ١٤٢٧هـ.ق، ص٤٣٧-٣٣٨.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٢، مادّة«**رَحِمَ**»، ص٤٩٨.

(٤) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، ص٣٤٦-٣٤٧.

(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٥، مادّة«**قَهَرَ**»، ص٣٥.

كلّ واحد منهما. قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ (الأنعام: ١٨)، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ (الرعد: ١٦)، ﴿فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٧)»[١].

خضع: أصلها خَضَعَ: «الخاء والضاد والعين: أصلان، أحدهما: تطامن في الشيء. والآخر: جنس من الصوت. فالأوّل: الخضوع. قال الخليل: خضع خضوعاً؛ وهو الذلّ والاستخذاء. واختضع فلان؛ أي تذلّل وتقاصر»[٢].

ذلّ: أصلها ذلّ: «الذال واللام في التضعيف والمطابقة: أصل واحد يدلّ على الخضوع والاستكانة واللين. فالذل: ضدّ العزّ»[٣]. و«الذُّلُّ: ما كان عن قهر... وقوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ (الإسراء: ٢٤)؛ أي: كن كالمقهور لهما... والذُّلُّ متى كان من جهة الإنسان نفسه لنفسه؛ فمحمود، نحو قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (المائدة: ٥٤)»[٤].

جبروتك: أصلها جَبَرَ: «الجيم والباء والراء: أصل واحد؛ وهو: جنس من العظمة والعلو والاستقامة... وذو الجبروت: الله جلّ ثناؤه»[٥]. «والجبّار في صفة الإنسان، يقال: لمن يجبر نقيصته بادّعاء منزلة من التعالي لا يستحقها»[٦].

عزّتك: أصلها عزّ: «العين والزاء: أصل صحيح واحد يدلّ على شدّة وقوّة وما ضاهاهما من غلبة وقهر. قال الخليل: العزة لله جلّ ثناؤه؛ وهو من العزيز»[٧]. و«العِزَّةُ: حالةٌ مانعة للإنسان من أن يغلب. من قولهم: أرضٌ عَزَازٌ؛ أي: صُلْبةٌ. قال تعالى: ﴿أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (النساء: ١٣٩)... والعَزِيزُ:

(١) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«قَهَرَ»، ص٦٨٧.
(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٢، مادّة«خَضَعَ»، ص١٨٩.
(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٢، مادّة«ذَلّ»، ص٣٤٥.
(٤) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، ص٣٣٠.
(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج١، مادّة«جَبَرَ»، ص٥٠١.
(٦) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«جَبَرَ»، ص١٨٥.
(٧) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٤، مادّة«عَزَّ»، ص٣٨.

الذي يقهُر ولا يُقهَر. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (العنكبوت: ٢٦)»[١].

سلطانك: أصلها سَلَطَ: «السين واللام والطاء: أصل واحد؛ وهو: القوّة والقهر، من ذلك: السلاطة؛ من التسلّط؛ وهو القهر. ولذلك سمّي السلطان سلطاناً. والسلطان الحجّة»[٢].»[٣].

أحاط: أصلها حوط: «الحاء والواو والطاء: كلمة واحدة؛ وهي الشيء يطيف بالشيء»[٤]

... والإحاطة بالشيء علماً؛ هي: أن تعلم وجوده وجنسه وقدره وكيفيّته، وغرضه المقصود به وبإيجاده، وما يكون به ومنه؛ وذلك ليس إلّا للّه تعالى، وقال عزّ وجلّ: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ﴾ (يونس: ٣٩)، فنفى ذلك عنهم... وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ (يونس: ٢٢)، فذلك إحاطة بالقدرة»[٥].

---

(١) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«عَزَّ»، ص٥٦٣.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٣، مادّة«سَلَطَ»، ص٩٥.

(٣) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«سَلَطَ»، ص٤٢٠.

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٢، مادّة«حَوَطَ»، ص١٢٠.

(٥) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادة«حَيَطَ»، ص٢٦٥-٢٦٦.

دلالة المقطع:

١- معرفة المدعوّ شرط في الاستجابة:

إنّ أوّل شـرط للداعـي إذا أراد أن يُستجاب دعائه يكمن فـي معرفته بمن يدعوه؛ ولذا، ابتدأت فقرات دعاء كميل ببيان الصفات الإلهيّة التي تشرّع للداعي باب المعرفة بعظمة من يدعوه، وتجذبه نحو الطلب من اللّه تعالى؛ لما أُلهِم قلبه من حتمية الإجابة؛ بفعل تعرّضه لنفحات هذه الصفات الكمالية الكاشفة عن عظمة المتّصف بها وقدرته وقوّتـه. وهـذا هو حال مَنْ يطلب حاجة من أحد من الناس؛ فإنّه لا يلجأ إلى الطلب إلا ممَّن يعرفه، ويدرك أنّه القادر على استجابة طلبه، وقضاء حاجته.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال الله عزّ وجلّ: من سألني؛ وهو يعلم أنّي أضرّ وأنفع؛ استجبت له**»[1].

وعـن الإمام موسى الكاظـم عليه السلام، قال: «**قال قـوم للصـادق عليه السلام: ندعو فلا يُستجاب لنا، قال: لأنّكم تدعون من لا تعرفونه**»[2].

ومعرفة اللّه تكمن في معرفة صفاته؛ وهي حقائق كماليّة تتجلّى في ساحات الكون، ويدركهـا الإنسان بحسب قابليّتـه واستعداده ومرتبته الوجوديّـة؛ وهي المذكورة في فقـرات هذا الدعاء: الرحمة الواسعة، والقوّة، والقدرة الشاملة، والجبروت، والعزّة، والعظمة، والسلطان، والذات الباقية التي لا تُصاب بالفناء.

٢- من صفات المدعوّ:

أ- الرحمة الواسعة:

إنّ الدعـاء باب مـن أبواب رحمـة اللّه. والإنسان يتوسَّل بصفـة الرحمة الإلهيّة؛

---

(١) ابـن بابويه، محمد بن علي (الصدوق): ثـواب الأعمال وعقاب الأعمال، تقديم محمد مهدي الخرسان، ط٢، قم المقدّسة، منشورات الشريف الرضي؛ مطبعة أمير، ١٣٦٨هـ.ش، ص١٥٣.

(٢) ابن بابويه، محمد بن علي: التوحيد، تصحيح وتعليق هاشم الحسيني الطهراني، لاط، قم المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة، لات، باب٤١، ح٧، ص٢٨٨-٢٨٩.

لتشملـه؛ فتكتب له النجاة. ولذا، كان السؤال الأوّل توسّلاً بالرحمة الإلهيّة. والرحمة الإلهيّة هي كلّ فيض يفيضه الله تعالى لسدّ حاجات الموجودات، واستكمال نواقصها، حيث إنّها بحسب ذاتها فقيرة ومحتاجة إلى الكامل المطلق.

فالرحمة تشمل حياة الإنسان في عالم الدنيا؛ من الولادة إلى آخر لحظات عمره، وكذلك في عالم الآخرة، حيث يُكتَب له النجاة والفوز بالجنّة:

عـن الإمام زيـن العابدين عليه السلام - لمّا قيل لـه: إنّ الحسن البصـري قال: ليس العجب ممَّن هلك كيف هلك، وإنّما العجب ممَّن نجى كيف نجى! -: «**أنا أقول: ليس العجـب ممَّـن نجـى كيف نجى، وأمّا العجـب ممَّن هلك كيف هلك مـع سعة رحمة الله**»[١].

وبمـا أنّ لكلّ شيء في هـذا الكون سبب مُوصِل إليه، فـإنّ الوصول إلى رحمة الله يتوقَّف على عدد من الأمور تُعدّ بمثابة مُوجبات لشمول الرحمة الإلهيّة، وهي:

- عدم الإفساد في الأرض.
- الدعاء عن خوف أو عن طمع.
- الإيمان بالله والاعتصام به.

وهذه الثلاثة وردت في آيات كتاب الله:

قـال تعالـى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[٣].

---

(١) الموسـوي، علـي بن الطاهر (الشريف المرتضى): الأمالي، تصحيح وتعليق محمد بـدر الدين الحلبي، ط١، قم المقدّسة، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٣٢٥هـ.ق/ ١٩٠٧م، ج١، المجلس١١، ص١١٣.

(٢) الأعراف: ٥٦.

(٣) النساء: ١٥٧.

الصبر: قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[(١)].

ب- القوّة القاهرة:

إنّ سعة القدرة الإلهيّة جعلت كلّ شيء مقهوراً لها؛ أي لا يملك أمامها حول أو قوّة. ويترتّب على هذا القهر: الخضوع والذلّ.

والخضوع؛ هو: التسليم، وعدم مقاومة سعة القدرة الإلهيّة. ويكمن ذلك من خلال الإيمان بأنّ القدرة الإلهيّة شاملة لكلّ شيء، ولا يمكن الخروج عنها. وهذا التسليم قد يكون عملاً، وقد يكون مع اليقين والطمأنينة بهذه السعة؛ أي عن اعتقاد وإيمان صحيحين.

وهذا يعني أنّ هذا الخضوع قد لا يكون عن اختيار، وقد يكون عن اختيار؛ فكلّ شيء خاضع له. وفي اختيار طاعة الله عزّ وجلّ خضوع اختياري؛ لأنّ الله لم يُجبِر أحداً على طاعته. وفي الرضا والتسليم بقضاء الله خضوع اختياري؛ لأنّه لا اعتراض، بل تسليم.

وأمّا الذلّ فلا يكون عن قهر؛ لأنّ الذي لا يعيش حالة التسليم الاختياري؛ فإنّه -أيضاً- خاضع للقوّة الإلهيّة، ولكنّه مُجبَر عليها؛ فيكون ذليلاً.

ج- الجبروت:

ورد في القرآن الكريم أنّ من الأسماء الإلهيّة هو: اسم الجبّار. والجبّار مبالغة في الذي تنفذ إرادته، ويَجْبِر على ما يشاء.

وهذه الصفة تختصّ بالله عزّ وجلّ. ولذا، ورد عن الإمام علي عليه السلام - في كتابه لمالك الأشتر حين ولّاه على مصر -: «**إيّاك ومساماة الله في عظمته، والتشبّه به**

---

(١) البقرة: ١٥٥-١٥٦.

في جبروته؛ فإنّ الله يذلّ كلّ جبّار، ويهين كلّ مختال»[١].

ويترتّب على الإيمان بأنّ الجبروت للّه فقط؛ عدّة فوائد، منها:

- الجبــروت: هو صاحب الإرادة الغالبة؛ لأنّ الإرادة الإلهيّــة تغلب إرادة كلّ مُرِيد؛ فهو يتمكَّن في أيّ لحظة أن يمنع الإنسان من أن يتصرّف تصرّفاً في أيّ أمر من الأمور؛ حتى تلك الأمور الخاضعة له، والتي تقع تحت سيطرته.
- يعنــي: أنّ الإنسان قد يشذّ بــه الحال، فيريد الخروج عــن الإرادة الإلهيّة، ولكنّ الإرادة الإلهيّــة غالبة على كلّ شــيء. وهذا حقّ الهي؛ لأنّ العباد مملوكون للّه عزّ وجلّ، والمالك له حقّ التصرّف في ملكه بما يشاء.
- وصف اللّه عزّ وجلّ نفسه بهذا الاسم في القرآن، كما نلجأ في الدعاء إلى التوسّل بهــذا الاسم الإلهي؛ لأنّ ذلك يُشعِر الإنسان في نفسه الذلّ والمسكنة لربّ العزّة والجــلال. فمعرفــة اللّه بصفاته تجعــل الإنسان يُحسن اتّخــاذ الموقف في هذه الدنيا.
- من الآثــار التربوية المترتّبة على التوسّل بهذه الأسمــاء: حصول الإيمان الثابت فــي القلب؛ لأنّ الإنسان يعلم من خلالهــا أنّ الإرادة الإلهية غالبة على كلّ شيء؛ فإذا استشعر الخطر، أو جاءه عدوّ، أو أراد به أحد سوءاً؛ يعلم حينها أنّ جبروت اللّه غالب على كلّ شيء.

د - العلم المحيط:

العلم يعني المعرفة؛ وهو: ضدّ الجهل. ودليل سعة العلم الإلهي: أنّ اللّه هو الخالق؛ فلا بدّ وأن يكون عالماً بكلّ شيء: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[٢].

وفــي القرآن الكريم آيتــان تتحدّثان عن سعــة العلم الإلهي، همــا: قوله تعالى:

---

(١) الموســوي، محمد بن الحسين بن موسى (الشريف الرضي): نهــج البلاغة (الجامع لخطب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله وحكمه)، شرح محمد عبده، ط١، قم المقدّسة، دار الذخائر، ١٤١٢هـ.ق/ ١٣٧٠هـ.ش، ج٣، كتاب٥٣، ص٨٥.

(٢) الملك: ١٤.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[1].

والعلم الإلهي: هو علم إحاطة؛ أي أنّه يُدرِك الأشياء بتمامها، وبكافّة وجوهها وجزئيّاتها، بل وبما ستصير إليه.

والاعتقاد بسعة العلم الإلهي له آثاره على الإنسان في هذه الدنيا، ومن هذه الفوائد:

- الامتناع عن الذنب: إنّ الإيمان بالعلم الإلهي المطلق يُولِّد الشعور بالرقابة الدائمة.

حُكِيَ أنّ بعض الشيوخ كان كثير الميل إلى واحد من جملة المريدين؛ فشقّ على الآخرين ذلك، فأراد أن يُظهر لهم فضيلة ذلك المريد، فأعطى كلّ واحد منهم طائراً، وقال له: اذبح هذا حيث لا يراك أحد، فذهبوا، ثمّ جاؤوا قد ذبح كلّ واحد منهم طائره إلا ذلك المريد؛ فإنّه ردّ طائره حيّاً، فقال الشيخ: ما لك لم تذبح كما ذبح أصحابك؟ فقال: لم أجد موضعاً لا يراني فيه أحد؛ فإنّ الله تعالى يراني في كلّ موضع، فقال الشيخ: لهذا أميل إليه؛ لأنّه لا يلتفت إلى غير الله عزّ وجلّ[2].

- الابتعاد عن التفكير بالمعصية: مع اشتداد الإيمان بالعلم الإلهي يحدث تعظيم هيبة الله تعالى في قلب الإنسان، فيصرفه ذلك عن التفكّر بالعصيان: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾[3]، ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ

---

(١) الأنعام: ٥٩ ـ ٦٠.

(٢) الكاشاني، محمد بن المرتضى (الفيض الكاشاني): المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، ط٢، قم المقدّسة، دفتر انتشارات اسلامى وابسته به جامعه مدرسين حوزه علميه قم؛ مطبعة مهر، لات، ج٢، ص١١٥-١١٦.

(٣) غافر: ١٩.

تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ﴾[١]، ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[٢].

- إدراك المظلوم أنّ حقّه لا يضيع: فإنّه، وإن كان قد لا يتمكّن من إثبات حقّه، ولكنّ اللّه عزّ وجلّ عالم بحقّه؛ فيأخذه له.
- إدراك الظالم أنّه إن أخفى حقّ غيره في هذه الدنيا؛ فإنّه لن يخفى على اللّه عزّ وجلّ، وسيأخذه منه في الدنيا أو في الآخرة.

(١) البقرة: ٢٨٤.
(٢) فاطر: ٢٨.

موعظة وعبرة

موانع استجابة الدعاء:

لقد ذكرت بعض الروايات ذنوباً متعدّدة، إن ارتكبها الإنسان تحول بينه وبين إجابة دعائه، مثل سوء النية، النفاق، تأخير الصلاة عن وقتها، اللسان البذيء الذي يخشاه الناس، الطعام الحرام، وترك الصدقة والإنفاق في سبيل اللّه تعالى[١].

وفي الاحتجاج، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه سُئل: أليس يقول اللّه: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾؟ وقد نرى المضطّر يدعوه ولا يجاب له، والمظلوم يستنصره على عدوّه فلا ينصره!

قال: «**ويحك! ما يدعوه أحدٌ إلّا استجاب له، أمّا الظالم فدعاؤه مردود إلى أن يتوب، وأمّا المحقّ فإذا دعا استجاب له وصرف عنه البلايا من حيث لا يعلمه، أو ادّخر له ثواباً جزيلاً ليوم حاجته إليه، وإن لم يكن الأمر الذي سأل العبد خيراً له إن أعطاه، أمسك عنه**»[٢].

ما معنى الآيتين؟

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حينما سأله أحدهم، قال: قلت: آيتان في كتاب اللّه عزّ وجلّ أطلبهما فلا أجدهما!

قال عليه السلام: «**وما هما**»؟

قلت: قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾، فندعوه ولا نرى إجابة.

قال عليه السلام: «**أفترى اللّه عزّ وجلّ أخلف وعده**»؟

قلت: لا.

(١) معاني الأخبار، طبقاً لما أورده تفسير نور الثقلين: ٤/ ٥٣٤ وأصول الكافي.

(٢) تفسير الصافي، ذيل تفسير الآيات ٦٠-٦٣ من سورة مؤمن (غافر).

قال: «**فممّ ذلك**»؟

قلت: لا أدري.

قال عليه السلام: «**لكنّي أخبرك، من أطاع الله عزّ وجلّ فيما أمره من دعائه من جهة الدعاء أجابه**».

قلت: وما جهة الدعاء؟

قال: «**تبدأ فتحمد الله وتذكر نِعمه عندك، ثمّ تشكره، ثمّ تصلّي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ تذكر ذنوبك فتُقِرّ بها، ثمّ تستعيذ منها، فهذا جهة الدعاء**»[1].

(١) تفسير البرهان: ٣/ ٣٥٣.

وقفة تأمّلية

التدبّر في آيات الخلق وأحوال الأمم الغابرة:

حثّ القرآن الكريم على التدبّر في آيات الخَلقِ واستكشاف مظاهر العظمة الإلهيّة الكامنة فيها؛ بوصفها حاكية عن وجود مدبّر حكيم يرجع إليه أمر هذه الآيات الكونية الباهرة:

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[3].

فالتفكّر في هذه الآيات الكونية الزاهية بجمال مبدعها؛ يقود النفس إلى إدراك عظمة هذا الصانع الحكيم والقدير، وجزيل نعمه التي أسبغها على الخلق أجمعين.

كما حثّ القرآن الكريم على الاستفادة من أحوال الأمم والمجتمعات الغابرة، واستلهام الدروس والعبر من أحوالها الماضية؛ حيث إنّهم انصرفوا عن الاستجابة لدعوة الحقّ تعالى وانقطعوا إلى الأسباب الزائفة؛ فأصابهم ما أصابهم من خزي وعذاب أليم.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[5].

---

(١) آل عمران: ١٩٠-١٩١.

(٢) الجاثية: ١٣.

(٣) الغاشية: ١٧-٢٠.

(٤) يوسف: ١١١.

(٥) آل عمران: ١٣٧.

2

آثار الذنوب

اَللّهُـمَّ اغْفِرْ لِـي الذُّنُوبَ الَّتي تَهْتِـكُ الْعِصَمَ ، اَللّـهُـمَّ اغْفِـرْ لِي الذُّنُـوبَ الَّتي تُنْزِلُ النِّقَـمَ ، اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُـوبَ الَّتي تُغَيِّرُ النِّعَمَ ، اَللّـهُمَّ اغْفِرْ لي الذُّنُوبَ الَّتي تَحْبِسُ الدُّعاءَ، اَللّـهُمَّ اغْفِرْ لِـي الذُّنُوبَ الَّتي تُنْزِلُ الْبَلاءَ، اَللّهُمَّ اغْفِـرْ لي كُلَّ ذَنْب اَذْنَبْتُهُ ، وَكُلَّ خَطيئَة اَخْطَأْتُها.

مفاهيم محوريّة: الآثار التكوينية والتشريعية لارتكاب الذنوب:

- ذنوب تجرّ ذنوباً.
- ذنوب تنزل النقم وتستوجب العقاب.
- ذنوب تزيل النعم.
- ذنوب تمنع الاستجابة.
- ذنوب تنزل البلاء والمصائب.
- ذنوب تقطع الأمل.

شرح المفردات:

اغفر: أصلها غَفَرَ: «الغين والفاء والراء: عظم بابه الستر، ثمّ يشذّ عنه ما يذكر، فالغفر الستر. والغفران والغفر؛ بمعنى. يقال: غفر اللّه ذنبه؛ غفراً، ومغفرةً، وغفراناً»[1]. و«الغَفْرُ: إلباس ما يصونه عن الدّنس... والغُفْرَانُ والْمَغْفِرَةُ من اللّه؛ هو: أن يصون العبد من أن يمسّه العذاب. قال تعالى: ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا﴾ (البقرة: ٢٨٥)، و﴿ مَغۡـفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ (آل عمران: ١٣٣)، ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، مادّة «غَفَرَ»، ج٤، ص٣٨٥.

ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ١٣٥) ... والاسْتِغْفَارُ: طلب ذلك بالمقال والفعال...: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ (نوح: ١٠)»[١].

الذنوب: أصلها ذَنَبَ: «والذَّنْبُ في الأصل: الأخذ بذنب الشيء، يقال: ذَنَبْتُه: أصبت ذنبه، ويستعمل في كلّ فعل يستوخم عقباه اعتباراً بذنب الشيء، ولهذا يسمّى الذَّنْبُ تبعة؛ اعتباراً لما يحصل من عاقبته، وجمع الذّنب ذُنُوب»[٢].

تهتك: أصلها هَتَكَ: «الهاء والتاء والكاف: أصل يدلّ على شقّ في شيء. والهتك: شقّ الستر عما وراءه. وهتك عرش فلان؛ هدّ وشقّ»[٣]. «وقد هتكته فانهتك؛ أي: فضحته، والاسم: الهتكة؛ وهي: الفضيحة. وهتك الأستار؛ شدّد للمبالغة. وتهتّك: افتضح»[٤].

العصم: أصلها عَصَمَ: «العين والصاد والميم: أصل واحد صحيح يدلّ على إمساك ومنع وملازمة؛ والمعنى في ذلك كلّه معنى واحد، من ذلك: العصمة أن يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه. واعتصم العبد بالله تعالى؛ إذا امتنع. واستعصم؛ التجأ»[٥]. «والاعْتِصَامُ: الاستمساك. قال تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ (هود: ٤٣)؛ أي: لا شيء يَعْصِمُ منه»[٦].

النقم: أصلها نَقَمَ: «النون والقاف والميم: [أصل] أصيل يدلّ على إنكار شيء وعيبه»[٧]. و«نَقِمْتُ الشَّيْءَ ونَقَمْتُه: إذا أَنْكَرْتُه، إمَّا باللِّسانِ، وإمَّا بالعُقُوبةِ. قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ (التوبة: ٧٤)... والنِّقْمَةُ: العقوبةُ. قال:

(١) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«غَفَرَ»، ص٦٠٩.
(٢) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«ذَنَبَ»، ص٣٣١.
(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، مادّة«هَتَكَ»، ج٦، ص٣٢.
(٤) الطريحي، فخر الدين: مجمع البحرين، ج٥، مادّة«هَتَكَ»، ص٢٩٨.
(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، مادّة«عَصَمَ»، ج٤، ص٣٣١.
(٦) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«عَصَمَ»، ص٥٦٩.
(٧) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، مادّة«نَقَمَ»، ج٥، ص٤٦٤.

﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ ﴾ (الأعراف: ١٣٦)»[١].

البلاء: أصلها بَلَوَى: «الباء واللام والواو والياء: أصلان، أحدهما: إخلاق الشيء، والثاني: نوع من الاختبار، ويحمل عليه الإخبار أيضاً... وأمّا الأصل الآخر، فقولهم: بلى الإنسان، وابتلي؛ وهذا من الامتحان؛ وهو الاختبار... ويكون البلاء في الخير والشرّ. والله تعالى يبلي العبد بلاء حسناً وبلاءً سيّئاً؛ وهو يرجع إلى هذا؛ لأنّ بذلك يختبر في صبره وشكره»[٢].[*]

---

(١) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«نَقَمَ»، ص٨٢٢.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، مادّة«بَلَوَى»، ج١، ص٢٩٢-٢٩٣.

(*) ... وسمّي التكليف بلاءً من أوجه: أحدها: أنّ التكاليف كلّها مشاق على الأبدان، فصارت من هذا الوجه بلاء. والثاني: أنّها اختبارات، ولهذا قال الله عزّ وجل: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ (محمد: ٣١). والثالث: أنّ اختبار الله تعالى للعباد تارة بالمسارّ؛ ليشكروا، وتارة بالمضارّ؛ ليصبروا، فصارت المحنة والمنحة جميعاً بلاء، فالمحنة مقتضية للصبر، والمنحة مقتضية للشكر... قال تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗ﴾ (الأنبياء: ٣٥)، ﴿وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ (الأنفال: ١٧)».

دلالة المقطع:

الآثار التكوينية والتشريعية لارتكاب الذنوب:

١ - ذنوب تجرّ ذنوباً:

لارتكاب الذنوب آثار في هذه الدنيا، ولا يختصّ أثر الذنب بالعقوبة الأخروية.

ولـذا، يبيّن لنا هذا المقطع مـن الدعاء بعضاً من آثار الذنوب التي يَسأل الداعي الله عـزّ وجلّ مغفرتها؛ وأوّلهـا دعاء بمغفرة الذنوب التي تكـون سبباً في زوال مِنْعَة العبد عن الوقوع في المعاصي:

عـن الإمام زيـن العابدين عليه السلام: «**والذنـوب التي تهتك العصـم: شرب الخمر، واللعب بالقمار، وتعاطى ما يُضحِك الناس؛ من اللغو، والمزاح، وذكر عيوب الناس، ومجالسة أهل الريب**»[1].

وهـذه ذنـوب تجرّ ذنوبـاً؛ فشارب الخمر لا يـدري ما يفعل، فشربـه للخمر يجرّه إلـى ارتكاب ذنوب أخرى، وكذلـك الحال في الذنوب الأخرى التي وردت في الرواية؛ فـإنّ اللغو والمزاح يجرّان إلى أذيّة الناس أو الكـذب، ومجالسة أهل الريب تجرّ إلى الانحراف وزوال الإيمان.

والتقـوى؛ هي العصمة التي لا بدّ أن يتمسّك بها الإنسان لتحصين نفسه وضمان منعتهـا؛ فـإذا زالت تتالت الذنوب عليه وأقعدتـه عن المسير في طريق الكمال والسعادة الأبدية.

٢ - ذنوب تنزل النقم وتستوجب العقاب:

إنّ من الذنوب ما يُعاقب عليه الإنسان في الدنيا قبل الآخرة:

(١) ابن بابويه، محمد بن علي بن الحسين: معاني الأخبار، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، لاط، قم المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة، ١٣٧٩هـ.ق/ ١٣٣٨هـ.ش، باب معنى تفسير الذنوب، ح٢، ص٢٧١.

ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**والذنوب التي تنزل النقم: عصيان العارف بالبغي، والتطاول على الناس، والاستهزاء بهم، والسخرية منهم**»[١].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**خمس بخمس: ما نقض قوم العهد؛ إلا سلّط عليهم عدوّهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله؛ إلا نشأ فيهم الفقر، ولا ظهر فيهم الفاحشة؛ إلا فشا فيهم الموت، ولا طفقوا المكيال؛ إلا مُنِعُوا النبات، وأُخِذُوا بالسنين، ولا مَنَعوا الزكاة؛ إلا حُبِسَ عنهم القطر**»[٢].

٣- ذنوب تزيل النعم:

إنّ الله عزّ وجلّ يُنعم بكرمه على هذا الإنسان، ولكنّ الإنسان بارتكابه للذنوب يفقد هذه النعم؛ فزوال النعم مرتبط بزوال الاستقامة. والانحراف سبب لزوال النعمة:

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[٣]. وهذه سنّة إلهية ثابتة.

وروي عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام بيان تلك الذنوب المُوجِبَة لزوال النعم، حيث يقول: «**الذنوب التي تغيّر النعم: البغي على الناس، والزوال عن العادة في الخير، واصطناع المعروف، وكفران النعم، وترك الشكر. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾**»[٤].

وكما تذكر الرواية، فإنّ أوّلها هو الظلم؛ وأدنى مراتبه منع الحقوق؛ وهو في صورة اشتغال ذمّته بردّ حقوق الناس وعدم وفائه بذلك.

---

(١) الصدوق، معاني الأخبار، م.س، باب معنى تفسير الذنوب، ح٢، ص٢٧٠-٢٧١.

(٢) المتقي الهندي، علاء الدين علي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبط وتفسير بكري حياني، تصحيح وفهرسة صفوة السقّا، لاط، بيروت، مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٩هـ.ق/ ١٩٨٩م، ج١٦، ح٤٤٠٠٦، ص٧٩.

(٣) الأنفال: ٥٣.

(٤) الصدوق، معاني الأخبار، م.س، باب معنى تفسير الذنوب، ح٢، ص٢٧٠.

٤- ذنوب تمنع الاستجابة:

إنّ السبب في حبس الدعاء؛ أي عدم استجابة الله للدعاء؛ هو: فعل الإنسان، وإلا فإنّ العطاء الإلهي لا يقف عند حدّ. والغفلة هي الأساس في حبس الدعاء:

«**إنّ الله عزّ وجلّ لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه، فإذا دعوت؛ فأقبل بقلبك**»[(١)].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**والذنوب التي تردّ الدعاء: سوء النيّة، وخبث السريرة، والنفاق مع الإخوان، وترك التصديق بالإجابة، وتأخير الصلوات المفروضات حتى تذهب أوقاتها، وترك التقرّب إلى الله عزّ وجلّ بالبرّ والصدقة، واستعمال البذاء والفحش في القول**»[(٢)].

فكيف يمكن للقلب الملوَّث بالذنوب أن يقف بين يدي مَنْ أساء إليه واجترأ عليه؛ ليطلب منه الحاجة؟!

وفي دعاء السحر للإمام زين العابدين عليه السلام: «**سيدي، لعلّك عن بابك طردتني، وعن خدمتك نحيّتني، أو لعلّك رأيتني مستخفّاً بحقّك؛ فأقصيتني، أو لعلّك رأيتني معرضاً عنك؛ فقليتني، أو لعلّك وجدتني في مقام الكاذبين؛ فرفضتني، أو لعلّك رأيتني غير شاكر لنعمائك؛ فحرمتني، أو لعلّك فقدتني من مجالس العلماء؛ فخذلتني، أو لعلّك رأيتني في الغافلين؛ فمن رحمتك آيستني، أو لعلّك رأيتني آلف مجالس البطّالين؛ فبيني وبينهم خلّيتني، أو لعلّك لم تُحب أن تسمع دعائي؛ فباعدتني، أو لعلّك بجرمي وجريرتي؛ كافيتني، أو لعلّك بقلّة حيائي منك؛ جازيتني**»[(٣)].

٥- ذنوب تنزل البلاء والمصائب:

البلاء: هو المصاب الذي يُورِث الهمّ والغمّ؛ وهو من فعل الإنسان: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم

---

(١) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الدعاء، باب الإقبال على الدعاء، ح١، ص٤٧٣.

(٢) الصدوق، معاني الأخبار، م.س، باب معنى تفسير الذنوب، ح٢، ص٢٧١.

(٣) الطوسي، مصباح المتهجّد، م.س، دعاء السحر في شهر رمضان، ص٥٨٨.

مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾[١].

وعـن الإمام زيـن العابديـن عليه السلام: «**والذنوب التـي تنزل البـلاء: تـرك إغاثة الملهوف، وترك معاونة المظلوم، وتضييع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»[٢].

٦- ذنوب تقطع الأمل:

والمـراد بها خصوص الذنوب التي تُوجِب اليأس؛ لأنّ الرجاء هو الأمل، فالمذنب يـرى نفسـه بعيداً عن الله، وكلّما غرق في ذنبـه؛ ازداد اليأس فيه. ولذا، كان الحذر من الذنوب بابَ بقاء الرجاء:

عـن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**والذنوب التـي تقطع الرجاء: اليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والثقة بغير الله، والتكذيب بوعد الله عزّ وجلّ**»[٣].

---

(١) الشورى: ٣٠.

(٢) الصدوق، معاني الأخبار، م.س، باب معنى تفسير الذنوب، ح٢، ص٢٧١.

(٣) الصدوق، معاني الأخبار، م.س، باب معنى تفسير الذنوب، ح٢، ص٢٧١.

موعظة وعبرة

قصّة العابد (برصيصا):

نقـل بعضـ المفسّرين وأئمّـة الحديث روايةً قصيـرةً عن عابـد إسرائيلي اسمه (برصيصـا)، وهذه القصّة في الحقيقة يمكـن أن تكون موضع عِبرة وعِظة للبشريّة جمعـاء؛ كـي يتجنّبـوا طريق الهـلاك، ويحذروا مـن الوقوع فـي مصيـدة الشِراك الشيطانيّة النخرة، والتي تكون نتيجتها السقوط في الهاوية حتماً.

وخلاصة ما جاء في هذه القصّة الآتي:

إنّه كان في بني إسرائيل عابد اسمه «**برصيصا**»، قد عبد الله زماناً من الدهر، حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم ويعوذهم فيبرؤون على يديه، وإنّه أُتي بامرأة قد جنّـت، وكان لهـا إخوة، فأتوه بها فكانت عنده، فلم يزل بـه الشيطان يزيّن له حتى وقع عليها فحملت، فلمّا استبان حملها قتلها ودفنها، فلمّا فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقي أحد أخوتها فأخبره بالذي فعل الراهب، وأنّه دفنها في مكان كذا، ثمّ أتى بقيّـة إخوتها، وهكذا انتشـر الخبر، فساروا إليه فاستنزلـوه فأقرّ لهم بالذي فعل، فأُمِـر بـه فصلب، فلمّا رُفِع على خشبتـه تمثّل له الشيطان، فقـال: أنا الذي ألقيت فـي قلـوب أهلها، وأنا الذي أوقعتك في هذا، فأطعني فيمـا أقول أُخلّصك ممّا أنت فيـه. قال: نعم. قال: اسجد لي سجدة واحدة. فقال: كيف أسجد لك وأنا على هذه الحالة؟! فقال: أكتفي منك بالإيماء. فأومى له بالسجود، فكفر بالله وقُتِل؛ فهو قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ ...﴾[1].

نعم، هكذا هو مصير من ابتُلي بوسوسة الشيطان، وسار في خطّه.

---

(١) تفسير مجمع البيان: ٩/ ٢٦٥، تفسير القرطبي: ٩/ ٦٥١٨، وجاءت هذه القصّة مفصّلة أكثر في تفسير روح البيان: ٩/ ٤٤٦.

وقفة تأمّلية

التدبّر في آثار حسن الظنّ بالله تعالى:

عن بريد بن معاوية، عن الإمام أبي جعفر عليه السلام، قال: «**وجدنا في كتاب علي عليه السلام: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال على منبره: «والذي لا إله إلّا هو ما أُعْطِي مؤمنَ قط خيرُ الدنيا والآخرة إلّا بحسب ظنّه بالله، ورجائه له، وحُسْن خلقه، والكفّ عن اغتياب المؤمنين. والذي لا إله إلّا هو لا يعذّب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار، إلّا بسوء ظنّه بالله، وتقصير من رجائه له، وسوء خلقه، واغتياب المؤمنين. والذي لا إله إلّا هو لا يحسن ظنّ عبدٍ مؤمن بالله إلّا كان الله عند ظنّ عبده المؤمن؛ لأنّ الله كريم بيده الخير يستحيي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظنّ، ثمّ يخلِف ظنّه ورجاءه. فأحسِنوا بالله الظنّ وارغبوا إليه**»[(١)].

إنّ التدبّر في هذه الرواية يقود الإنسان إلى حقيقة اتّخاذ حسن الظنّ بالله تعالى عوناً في كلّ أمر يعرض عليه؛ فيحسن ظنّه بالله بالمغفرة له حين يستغفره، وبقبول توبته إذا تاب عن معصيته، وبالإجابة إذا دعاه مخلصاً، وبالكفاية إذا استكفاه وتوكّل عليه، وبقبول عمله عند قيامه به.

ومن هنا، ينبغي علينا أن نركن إلى حسن الظنّ بالله تعالى في جميع أمورنا، وأن نؤدّي أعمالنا موقنين بالإجابة؛ فإنّ الله تعالى وَعَدَنا بقبول توبتنا إذا كانت صادقة خالصة له: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[(٢)]، وإذا كانت توبة نصوحة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ...﴾[(٣)]، وصادرة

---

(١) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب حسن الظنّ بالله، ح٢، ص٧١-٧٢.

(٢) الشورى: ٢٥.

(٣) التحريم: ٨.

عـن جهالــة: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1].

(١) النساء: ١٧.

3

نعم مجهولة

اَللّهُــمَّ مَوْلاي كَمْ مِنْ قَبيح سَتَرْتَهُ وَكَمْ مِنْ فادِح مِنَ الْبَلاءِ اَقَلْتَهُ (اَمَلْتَــهُ) وَكَمْ مِنْ عِثار وَقَيْتَهُ، وَكَمْ مِنْ مَكْرُوه دَفَعْتَهُ، وَكَمْ مِنْ ثَناء جَميل لَسْتُ اَهْلاً لَهُ نَشَرْتَهُ.

مفاهيم محوريّة:

النعم الإلهية: ظاهرة، وباطنة خفية.

من النعم الباطنة: ستر قبائح العباد. والوقاية من البلاء، ومغفرة العثرات، ودفع المكروه، ونشر الثناء.

شرح المفردات:

فادح: أصلها فَدَحَ «الفاء والدال والحاء: كلمة فدحه الأمر؛ إذا عاله وأثقله فدحاً؛ وهو أمر فادح»[1].

أقلته: أصلها قَلَّ: «القاف واللام: أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما: على نزاره الشيء، والآخر: على خلاف الاستقرار؛ وهو الانزعاج... وأمّا الأصل الآخر، فيقال: تقلقل الرجل وغيره؛ إذا لم يثبت في مكان، وتقلقل المسمار؛ قلق في موضعه»[2].

عثار: أصلها عَثَرَ: «العين والثاء والراء: أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما: على

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٤، مادّة«**فَدَحَ**»، ص٤٨٤.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٥، مادّة«**قلّ**»، ص٣.

الاطّلاع على الشــيء، والآخر: على الإثارة للغبار»[١]. و«عَثَرَ الرّجلُ يَعْثُرُ عِثَاراً وعُثُــوراً؛ إذا سقط، ويتجوّز به فيمــن يطَّلع على أمر من غير طلبه. قال تعالى: ﴿فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا﴾ (المائدة: ١٠٧)»[٢].

وقيته: أصلها وَقَى: «الواو والقاف والياء: كلمة واحدة تدلّ على دفع شيء عن شيء بغيــره. ووقيته: أقيــه وقياً. والوقاية: ما بقي الشّيء. واتّــقِ الله: توقَّه؛ أي اجعل بينك وبينه كالوقاية»[٣]. و«الوِقَايَةُ: حفظُ الشيءِ ممّا يؤذيه ويضرّه»[٤].

مكـروه: أصلها كَـرِهَ: «الكاف والراء والهاء: أصل صحيــح واحد يدلّ على خلاف الرضا والمحبّة»[٥]. و«قيل: الْكَرْه والْكُرْه واحد، نحو: الضّعف والضّعف، وقيل: الكَــرْه: المشقّة التي تنال الإنسان من خارج في ما يحمل عليه بإِكْرَاه، والكُرْه: مــا يناله من ذاته وهو يعافه؛ وذلك على ضربين: أحدهما: ما يعاف من حيث الطَّبع. والثاني: ما يعاف من حيث العقل أو الشّرع... وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ﴾ (البقــرة: ٢١٦)؛ أي: تَكْرَهُونَه من حيث الطَّبع... قال تعالـى: ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢)»[٦].

دفعته: أصلها دَفَعَ: «الدال والفاء والعين: أصل واحد مشهور يدلّ على تنحية الشيء. يقال: دفعت الشيء أدفعه دفعاً. ودافع الله عنه السوء دفاعاً»[٧].

الثنــاء: أصلهــا ثَنَى: «الثاء والنون والياء: أصل واحــد؛ وهو: تكرير الشيء مرتين، أو جعلــه شيئَيــن متواليين أو متباينيــن؛ وذلك قولك: ثنيت الشيء ثنيــاً»[٨]. «وقيل:

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٤، مادّة«عَثَرَ»، ص٢٢٨.
(٢) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«عَثَرَ»، ص٥٤٦.
(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٦، مادّة«وَقَى»، ص١٣١.
(٤) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«وَقَى»، ص٨٨١.
(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٥، مادّة«كَرَهَ»، ص١٧٢.
(٦) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«كَرَهَ»، ص٧٠٧-٧٠٨.
(٧) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٢، مادّة«دَفَعَ»، ص٢٨٨.
(٨) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج١، مادّة«ثَنَى»، ص٣١٩.

الثُّنْـوَى والثَّنَاء: ما يذكر في محامد الناس، فيثنى حـالاً فحالاً ذكره، يقال: أثني عليه»[١].

دلالة المقطع:

١- قبائح مستورة:

قد يتمكّن الإنسان من أن يخفي بعض الذنوب عن الناس؛ كالذنوب التي يرتكبها فـي السـرّ، ولكنّـه لا يستطيع أن يخفيهـا عن الله عزّ وجـلّ؛ لأنّه تعالـى بكلّ شيء محيـط. والله عزّ وجلّ هو الوحيـد الذي يستر الذنوب؛ وذلك عندما يبادر الإنسان إلى التوبة:

روي عـن الإمـام الصادق عليه السلام – حيث سمعه معاوية بـن وهب يقول –: «**إذا تاب العبد المؤمن توبة نصوحاً؛ أحبّه الله، فستر عليه في الدنيا والآخرة. قلت: وكيف يستـر عليـه؟ قال: يُنسي ملكيه ما كتبـا عليه من الذنوب... فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب**»[٢].

٢- بلاء مدفوع:

إنّ الإنسـان مخلوق ضعيف معرَّض للكثير من الابتلاءات؛ من المرض، والمهانة، والفضيحة، وغيرها، وبعض هذه البلاءات قد يكون فادحاً؛ أي عظيماً وكبيراً؛ بحيث يثقـل على الإنسان حملـه. والله عزّ وجلّ يُقيل الإنسان منه؛ أي يعفو عنه، ويدرأ عنه الابتلاء به:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أمّا إنّه ليس من عِرق يضرب، ولا نكبة، ولا صداع، ولا مرض؛ إلّا بذنب؛ وذلك قول الله عزّ وجلّ في كتابه:** ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ

---

(١) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«ثَنَى»، ص١٧٨-١٧٩.

(٢) ابن بابويه، ثواب الأعمال، م.س، ص١٧١.

فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾، **وما يعفو الله أكثر ممّا يؤاخذ به**»[١].

٣- زلل ممنوع:

إنّ النفس الأمّارة تدفع الإنسان لارتكاب الأخطاء والمعاصي، والشيطان يزيّنها للإنسان؛ لكي يجعلها في صورة محبَّبة له. ولذا، كان الإنسان مُعرّضاً في حياته للوقوع في المعاصي. ومتى نظر الإنسان إلى ما يمكن أن يصدر منه من ذنوب أدرك رحمة اللّه به؛ الذي يصونه ويحفظه عن الوقوع بها:

عن الإمام علي عليه السلام: «**كيف يصبر عن الشهوة من لم تعنه العصمة؟!**»[٢].

وعن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**قال الله سبحانه: إذا عَلِمْتُ أنّ الغالب على عبدي الاشتغال بي؛ نقلت شهوته في مسألتي ومناجاتي، فإذا كان عبدي كذلك؛ فأراد أن يسهو؛ حلت بينه وبين أن يسهو، أولئك أوليائي حقّاً**»[٣].

٤-مكاره مأمونة:

إنّ الإنسان يكره كلّ ما يخالف الراحة والدعة ويشقّ عليه، وما من إنسان في هذه الدنيا إلا وهو معرَّض للمكاره، ولكنّ اللّه يدفع عن الإنسان الكثير منها، فيحول بينها وبين الإنسان؛ أي يصرف عنه الابتلاء بها.

والإنسان يُدرِك ذلك متى رأى تلك المكاره تصيب مَنْ حوله من الناس. ولذا، كان عليه إذا رأى ذلك أن يحمد اللّه على أن وقاه منها:

روي عن الإمام الباقر عليه السلام: «**تقول ثلاث مرّات إذا نظرت إلى المُبتلى من غير أن تُسمِعُه: الحمد لله الذي عافاني ممّا ابتلاك به، ولو شاء فعل. قال: من قال**

---

(١) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الذنوب، ح٣، ص٢٦٩.

(٢) الليثي الواسطي، علي بن محمد: عيون الحكم والمواعظ، تحقيق حسين الحسيني البيرجندي، ط١، لام، دار الحديث، لات، ص٣٨٤.

(٣) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، تحقيق إبراهيم الميانجي؛ محمد باقر البهبودي، ط٢، بيروت، مؤسّسة الوفاء، ١٤٠٣هـ.ق/ ١٩٨٣م، ج٩٠، ص١٦٢.

ذلك لم يصبه ذلك البلاء أبداً»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا رأيت الرجل قد ابتُلي وأنعم الله عليك، فقل: اللهمّ إنّي لا أسخر، ولا أفخر، ولكن أحمدك على عظيم نعمائك علي»**[2].

٥- صيت حسن:

يحبّ الإنسان أن يكون ذكره بين الناس حسناً؛ فتمدحه الناس وتثني عليه؛ لما هو عليه من الصفات، وقد يكون الإنسان أهلاً لذلك، وقد لا يكون أهلاً له، ومتى وجد أنّ صيته الحسن انتشر بين الناس، واعتقد أنّه ليس أهلاً له؛ فإنّ عليه أنّ يعلم أنّ هذا من عند اللّه، وعليه أن يشكر اللّه على ذلك.

والذكر الحسن بين الناس أمر ممدوح؛ شرط أن لا يكون مُوجباً لبطلان العمل؛ أي شرط أن يحذر الإنسان من أن يُبتَلى بالرياء المُبطل له:

روي عن الإمام الباقر عليه السلام: «**الإبقاء على العمل أشدّ من العمل، قال -الراوي-: وما الإبقاء على العمل؟ قال: يصل الرجل بصلة، وينفق نفقة للّه وحده لا شريك له؛ فكتب له سرّاً، ثمّ يذكرها؛ فتمحى فتكتب له علانية، ثمّ يذكرها؛ فتمحى وتكتب له رياء»**[3].

وفي دعاء أمير المؤمنين عليه السلام - لمّا مدحه قوم في محضره -: «**اللهمّ إنّك أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهمّ اجعلنا خيراً ممّا يظنّون، واغفر لنا ما لا يعلمون»**[4].

وعن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم - في وصية له لأمير المؤمنين عليه السلام -: «**إذا أثنِيَ عليك في وجهك، فقل: اللهمّ اجعلني خيراً ممّا يظنّون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا**

(١) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر، ح٢٠، ص٩٧.

(٢) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر، ح٢٢، ص٩٨.

(٣) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الرياء، ح١٦، ص٢٩٦-٢٩٧.

(٤) الشريف الرضي، نهج البلاغة، م.س، ج٤، الحكمة١٠٠، ص٢٢.

تؤاخذني بما يقولون»[١].

ومن هـذا المنطلق، فإنّ صاحب التقوى، والمؤمن حقّـاً يخاف من الآثار السلبيّة للمديـح، ويواجـه ذلك بما وصـف به الإمام علي عليه السلام المتقيـن، حيث قال عليه السلام: «**إذا زكّـي أحـد منهم؛ خاف ممّا يقـال له، فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربّي أعلم بي منّي بنفسي! اللهمّ لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل ممّا يظنّون، واغفر لي ما لا يعلمون»**[٢].

(١) الحرّاني، ابن شعبة: تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، ط٢، قم المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقمّ المقدّسة، ١٤٠٤هـ.ق/ ١٣٦٣هـ.ش، ص١٢.

(٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة، م.س، ج٢، الخطبة١٩٣، ص١٦٢-١٦٣.

موعظة وعبرة

أئمّتنا قدوةٌ وأسوة:

رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**كان أبي يكره أن يمسح يده في المنديل وفيه شيء من الطعام تعظيماً له، إلّا أنْ يمصّها، أو يكون إلى جانبه صبيٌّ فيمصّها، قال: فإنّي أجد اليسير يقع من الخوان فأتفقّده فيضحك الخادم، ثمّ قال: إنّ أهل قرية ممّن كان قبلكم، كان الله قد وسّع عليهم حتى طغوا، فقال بعضهم لبعض: لو عمدنا إلى شيء من هذا النقي، فجعلناه نستنجي به كان ألين علينا من الحجارة. قال** عليه السلام: **فلمّا فعلوا ذلك، بعث الله على أرضهم دواباً أصغر من الجراد، فلم تدع لهم شيئاً خلقه الله إلّا أكلته من شجرٍ أو غيره، فبلغ بهم الجهد إلى أن أقبلوا على الذي كانوا يستنجون به فأكلوه، وهي القرية التي قال الله تعالى:** ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾»[1].

(١) الحويزي، تفسير نور الثقلين: ٣/ ٩١-٩٢.

وقفة تأمّلية

التدبّر في مخاطر العُجُب:

عـن الإمـام الصادق عليه السلام: **«أتى عالم عابـداً، فقال له: كيـف صلاتك؟ فقال: مثلـي يُسـأَل عـن صلاته؟! وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا، قـال: فكيف بكاؤك؟ قال: أبكـي حتـى تجري دموعي، فقـال له العالم: فـإنّ ضحكك وأنت خائـف أفضل من بكائك وأنت مدلّ، إنّ المدلّ لا يصعد من عمله شيء»**[١].

وعنـه عليه السلام -أيضاً-: **«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بينما موسـى عليه السلام جالساً إذ أقبل إبليس وعليـه برنس ذو ألوان، فلمّا دنى من موسى عليه السلام خلـع البرنس، وقام إلى موسـى، فسلّـم عليه، فقـال له موسى: من أنـت؟ فقال: أنا إبليس، قـال: أنت! فلا قـرّب الله دارك. قـال: إنّي إنّما جئـت لأسلّم عليك؛ لمكانك من الله، قال: فقال له موسـى عليه السلام: فمـا هذا البرنـس؟ قال: به أختطـف قلوب بني آدم، فقـال موسى: فأخبرنـي بالذنـب الـذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه؟ قـال: إذا أعجَبَتُه نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه»**[٢].

إنّ العجـب خُلُق رديء يتسلّل إلى النفسـ من خلال الطاعات والعبادات؛ حيث إنّ الإنسـان بفعل التزامـه بادائهما قد يحصل لديه عجب بنفسـه؛ بما تؤدّيه من طاعة وعبـادة وأفعال حسنة، ويجد من نفسـه القوّة والاستقلال في أدائها والاهتداء إليها؛ ما يـؤدّي إلى انقطاعه عن ربّه، واحتجابه عن نـور الهداية، وسلبه التوفيق، وبطلان عمله وزوال أثره.

ويحصـل الانتبـاه من هذا الفخ المُهلِـك من خلال التفكّر فـي النفس، وضعفها، وفقرها، واحتياجها إلى الله تعالى، والتي لولا رحمته ولطفه وعنايته؛ لما تمكّنت من الاهتداء إلى صالح الأعمال.

---

(١) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب العجب، ح٥، ص٣١٣.

(٢) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب العجب، ح٨، ص٣١٤.

4

دوافع المعاصي

اَللّهُـمَّ عَظُمَ بَلائي وَاَفْرَطَ بي سُوءُ حالــي، وَقَصُرَتْ بي اَعْمالي وَقَعَـدَتْ بي اَغْلالى، وَحَبَسَني عَنْ نَفْعي بُعْدُ اَملي، وَخَدَعَتْنِي الدُّنْيا بِغُرُورِها، وَنَفْسي بِجِنايَتِها.

مفاهيم محوريّة:

١- أعظم البلاء ارتكاب المعاصي والآثام.

٢- الإفراط في المعاصي.

٣- قصور عمل الإنسان عن الوفاء بحقّ اللّه تعالى.

٤- أبرز دوافع المعاصي:

- إقعاد النفس بأغلال المعاصي.
- طول الأمل.
- الاغترار بالدنيا الخدّاعة.
- اتّباع النفس الأمارة.
- المماطلة والتسويف في التوبة.

شرح المفردات:

أفـرط: أصلهـا فَرَطَ: «الفاء والراء والطاء: أصـل صحيح يدلّ على إزالة شيء عن مكانـه وتنحيتـه عنه... فهـذا هو الأصل، ثمّ يقـال: أفرط إذا تجـاوز الحدّ في

الأمـر. يقولـون: إياك والفرط؛ أي لا تجـاوز القدر؛ وهذا هو القيـاس؛ لأنّه إذا جـاوز القدر فقـد أزال الشيء عن جهته. وكذلك التفريـط؛ وهو التقصير؛ لأنّه إذا قصر فيه فقد قعد به عن رتبته التي هي له»[1]. «قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَ﴾(يوسف: ٨٠)؛ أي ما قصّرتم في أمره...»[2].

قصرت: أصلها قَصُرَ: «القاف والصادّ والراء: أصلان صحيحان، أحدهما: يدلّ على ألا يبلغ الشيء مداه ونهايته، والآخر: على الحبس. والأصلان متقاربان.

فالأوّل: القصـر خلاف الطول... وقصرت عنه قصـوراً؛ عجزت. والأصل الآخر... إذا حبستـه؛ وهـو مقصـور؛ أي محبوس. قـال الله تعالـى: ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ﴾»[3].

قعدت: أصلها قَعَدَ: «القاف والعين والدال: أصل مطّرد منقاس لا يخلف؛ وهو يضاهي الجلوس، وإن كان يتكلّم في مواضع لا يتكلّم فيها بالجلوس... والإقعاد والقعاد داء يأخـذ الإبل في أوراكها فيميلها إلى الأرض»[4]. «ويعبّر عن المتكاسل في الشيء بِالْقَاعـِدِ نحـو قولـه: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾(النساء: ٩٥)»[5].

الأغـلال: أصلها غَلَّ: «الغين والـلام: أصل صحيح يدلّ على تخلّل شيء وثبات شيء؛ كالشـيء يغـرز»[6]. و«الغَلَلُ: تدرّع الشـيء وتوسّطه... فالْغُلُّ مختصّ بما يقيّد به فيجعل الأعضاء وسطه، وجمعـه أَغْلَالٌ، وغُلَّ فلان: قيّد بـه. قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾(الحاقة: ٣٠)، وقال: ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ﴾(غافر: ٧١)»[7].

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٤، مادّة«**فَرَطَ**»، ص٤٩٠.
(٢) الطريحي، مجمع البحرين، م.س، ج٤، مادّة«**فَرَطَ**»، ص٢٦٤.
(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٥، مادّة«**قَصُرَ**»، ص٩٦-٩٧.
(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٥، مادّة«**قَعَدَ**»، ص١٠٨-١٠٩.
(٥) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«**قَعَدَ**»، ص٦٧٨-٦٧٩.
(٦) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٤، مادّة«**غَلَّ**»، ص٣٧٥.
(٧) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«**غَلَّ**»، ص٦١٠.

حبسني: أصلها حَبَسَ: «الحاء والباء والسين. يقال: حبسته حبساً. والحبس: ما وقف»[١]. و«الحَبْس: المنع من الانبعاث، قال عزّ وجلّ: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ (المائدة: ١٠٦)»[٢].

خدعتني: أصلها خَدَعَ: «الخاء والدال والعين: أصل واحد ذكر الخليل قياسه. قال الخليل: الإخداع إخفاء الشيء»[٣]. و«الخِدَاع: إنزال الغير عمّا هو بصدده بأمر يبديه على خلاف ما يخفيه، قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ (البقرة: ٩)؛ أي: يخادعون رسوله وأولياءه، ونسب ذلك إلى الله تعالى؛ من حيث إنّ معاملة الرّسول كمعاملته»[٤].

غرورها: أصلها غَرَّ: «الغين والراء: أصول ثلاثة صحيحة، الأوّل: المثال، والثاني: النقصان، والثالث: العتق والبياض والكرم»[٥]. و«غَرَرْتُ فلاناً: أصبت غِرَّتَه ونلت منه ما أريده. والغِرَّةُ: غفلة في اليقظة. والْغِرَارُ: غفلة مع غفوة، وأصل ذلك من الْغُرِّ؛ وهو الأثر الظاهر من الشيء... قال تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (الانفطار: ٦)»[٦].

جنايتها: أصلها جَنَى: «الجيم والنون والياء: أصل واحد؛ وهو: أخذ الثمرة من شجرها، ثمّ يحمل على ذلك... ومن المحمول عليه: جنيت الجناية؛ أجنيها»[٧].

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٤، مادّة«حَبَسَ»، ج٢، ص١٢٨.
(٢) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«حَبَسَ»، ص٢١٦.
(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٢، مادّة«خَدَعَ»، ص١٦١.
(٤) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«خَدَعَ»، ص٢٧٦.
(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٤، مادّة«غَرَّ»، ص٣٨١.
(٦) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«غرَّ»، ص٦٠٤.
(٧) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج١، مادّة«جَنَى»، ص٤٨٢.

دلالة المقطع:

١- أعظم البلاء ارتكاب المعاصي والآثام:

يُقَاسـ البلاء العظيم عند الناس -عـادّة- بالأمور المادّيّة؛ من الفقر، والمرض، ولكـنّ البـلاء الحقيقي يترتّب علـى الذنوب التي تصـدر من الإنسـان؛ ما يستوجب الغضب الإلهي، واستحقاق العذاب الأخروي؛ الذي هو أعظم من كلّ عذابات الدنيا:

عن الإمام علي عليه السلام -في وصية له لابنه الإمام الحسن عليه السلام-: «**إنّ من البلاء: الفاقة، وأشدّ من ذلك: مرض البدن، وأشدّ من ذلك: مرض القلب**»[١].

٢ - الإفراط في المعاصي:

يحذر الإنسان في حياته ومعاشه الكثير من المضارّ الدنيوية، ولو سوَّلت له نفسه أن يفعل ما فيه الضرر الدنيوي؛ كالتدخين، ونحوه؛ فإنّه يتجنّب الإكثار منه؛ لأنّ ذلك يـؤدّي به إلى الموت والهلاك. وكذلك الحال بالنسبة لارتكاب المعاصي؛ فإنّه إفراط بهـذه النفس ومورد لهلاكها، فالإنسان يحفظ نفسه من المخاطر الماديّة، ولكنّه هل يفكّر في حفظ نفسه من المخاطر المعنوية؛ التي تنتهي به إلى جهنم؟!

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**كان أبي عليه السلام يقول: ما من شيء أفسد للقلب مـن خطيئـة؛ إنّ القلـب ليواقع الخطيئـة، فما تزال به؛ حتى تغلـب عليه، فيصير أعلاه أسفله**»[٢].

٣ - قصور عمل الإنسان عن الوفاء بحقّ الله تعالى:

إنّ العمـل الصالح قاصر عن تـدارك الذنوب التي يقع بها العبد؛ فالعمل الصالح يُوجِـب رفعة الدرجة، ولكـنّ الذنوب تَذْهَب بكلّ ما يأتي بـه الإنسان من عمل صالح.

---

(١) الطوسي، محمد بن الحسن: الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية في مؤسّسة البعثة، ط١، قم المقدّسة، دار الثقافة، ١٤١٤هـ.ق، المجلس٥، ح٥٣، ص١٤٦-١٤٧.

(٢) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الذنوب، ح١، ص٢٦٨.

ولـو قمنا بمقايسة الأعمال الصالحة التي نقوم بها في هذه الدنيا، مع ثواب الآخرة؛ لأدركنا يقيناً مدى قصور أعمالنا عن استحقاق ذلك الثواب:

عـن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم -في وصية له لأبي ذر الغفاري-: «**لو كان لرجل عمل سبعين نبيّاً؛ لاستقلّ عمله؛ من شدّة ما يرى يومئذ -يعني يوم القيامة-**»[1].

وعنـه صلى الله عليه وآله وسلم ـ أيضـاً ـ: «**لو أنّ رجـلاً جرى على وجهـه من يوم ولد إلـى يوم يموت هرمـاً فـي طاعـة الله عزّ وجلّ؛ لحقّر ذلك يـوم القيامة، ولودّ أنّه يُـردّ إلى الدنيا؛ كيما يزداد من الأجر والثواب**»[2].

٤- أبرز دوافع المعاصي:

أ- إقعاد النفس بأغلال المعاصي:

المُقعَد: هو الذي لا يستطيع الحركة، ولكنّ الإنسان القادر على الحركة قد تُقعِدهُ الأغـلال؛ وهـي: هوى النفـس، والنفس الأمّـارة بالسوء، والخُلُـق السيّئ؛ من أنانيـة، وغيرها. فهي أغلال نفسية تجعل الشيطان مسيطراً عليه يسوقه حيث ما أراد:

قـال تعالـى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[3].

وقال تعالى ـ أيضاً ـ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[4].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**بينما موسى عليه السلام جالساً، إذ أقبل إبليس... قال موسى: فأخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه؟ قال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، وصغر في عينه ذنبه**»[5].

---

(١) الطبرسي، الحسن بن الفضل: مكارم الأخلاق، ط٦، لام، منشورات الشريف الرضي، ١٣٩٢هـ.ق/ ١٩٧٢م، ص٤٦٤.

(٢) المتّقي الهندي، كنز العمّال، م.س، ج١٥، ح٤٣١٢٠، ص٧٨٨.

(٣) المجادلة: ١٩.

(٤) الزخرف: ٣٦.

(٥) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب العجب، ح٨، ص٣١٤.

ولـذا، كانت الخطوة الأولى للخلاص تكمن في فكّ هذه الأغـلال، والخروج من ولاية الشيطان إلى ولاية الله تعالى:

قـال تعالـى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].

وقـال تعالى-أيضـاً-: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

ب- طول الأمل:

يُعـدّ طول الأمل من أكثر الأسباب التي تمنع الإنسان من الانتفاع بعمره في العمل الصالح للآخرة، ويكفي في مضارّه: أنّه يمنع الإنسان من التوبة؛ لأنّ طول الأمل يُوقِع الإنسان في التسويف، فيبدأ بتأخير التوبة إلى أن يقع به الموت، ولا مهلة له؛ لتدارك ما فات.

وورد في تعاليم أهل البيت عليهم السلام ما يمنع من الوقوع في ذلك:

عن الإمـام علي عليه السلام: «**أكثر الناس أمـلاً أقلّهم للموت ذكـراً**»[3]؛ فمن لا يذكر الموت كثيراً ينساه، وبهذا يرى النهاية بعيدة؛ فيطول أمله.

وعنه عليه السلام -أيضاً-: «**أمّا طول الأمل؛ فينسي الآخرة**»[4].

ويكفـي للاعتبـار أن ينظـر الناس إلـى من يُدرِكُـه الموت من حولهـم؛ فإذا بهم يخرجون من الدنيا؛ وهم كانوا يعيشون فيها أملاً طويلاً:

روي عـن الإمام علي عليه السلام: «**اتّقوا خداع الآمال؛ فكم من مؤمَّل يوم لم يدركه،**

(١) البقرة: ٢٥٧.

(٢) البقرة: ٢٦٨.

(٣) الواسطي الليثي، عيون الحكم والمواعظ، م.س، ص١٢٠.

(٤) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب اتّباع الهوى، ح٣، ص٣٣٦.

وباني بناء لم يسكنه، وجامع مال لم يأكله»[١].

وطول الأمل، كما يجعل الإنسان مقصّراً في العمل الصالح، يدفعه لارتكاب مساوئ الأعمال؛ لأنّه يسوّف نفسه؛ بالتدارك، والجبران:

روي عن الإمام علي عليه السلام: «**أطول الناس أملاً أسوأهم عملاً**»[٢].

ج- الاغترار بالدنيا الخدّاعة:

إنّ التعلّق بهذه الدنيا له أسبابه، ومن أهمّ هذه الأسباب: أنّ الدنيا تخدع الإنسان، وتغرّه، وتمنّيه:

روي عن الإمام علي عليه السلام: «**إن أقبلت غرّت، وإن أدبرت ضرّت**»[٣].

ولكن، هل يعني هذا أنّ الإنسان المغترّ بهذه الدنيا معذور؟! لا، بل يمكنه أن يمنع هذا الغرور:

روي عن الإمام علي عليه السلام: «**حقّاً أقول: ما الدنيا غرّتك، ولكن بها اغتررت، ولقد كاشفتك العظات، وآذنتك على سواء، ولهي بما تعدك من نزول البلاء بجسمك والنقص(النقض) في قوّتك؛ أصدق وأوفى من أن تكذّبك أو تغرّك**»[٤].

د- اتّباع النفس الأمارة:

إنّ النفس الأمّارة من أعدى أعداء الإنسان؛ وهي من أخطر الشياطين؛ لأنّها الأقوى على خداع الإنسان:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**احذروا أهواءكم؛ كما تحذرون أعداءكم؛ فليس شيء أعدى للرجال من اتّباع أهوائهم وحصائد ألسنتهم**»[٥].

---

(١) الواسطي الليثي، عيون الحكم والمواعظ، م.س، ص٩١.

(٢) الواسطي الليثي، عيون الحكم والمواعظ، م.س، ص١٢٠.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج٧٥، باب١٥، مواعظ أمير المؤمنين عليه السلام...، ح٨٨، ص٢٣.

(٤) الشريف الرضي، نهج البلاغة، م.س، ج٢، الخطبة٢٢٣، ص٢١٥.

(٥) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب اتّباع الهوى، ح١، ص٣٣٥.

وعن رسول الله ﷺ: «**أعدى عدوّك؛ نفسك التي بين جنبيك**»[١].

وعـن الإمام علي عليه السلام: «**إنّ نفسـك لخدوع، إن تثق بها؛ يقتـدك الشيطان إلى ارتكاب المحارم**»[٢].

ومعالجة هوى النفس وأمانيهـا الخدّاعة تكمن بمخالفتها على الدوام، فمن يُعلِن العصيان التامّ عليها؛ يُكتَب له الفوز:

روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام -في مناجاة الشاكرين-: «**إلهي إليك أشكو نفساً بالسوء أمّارة، وإلى الخطيئة مبادرة، وبمعاصيك مُولعة،... كثيرة العلل، طويلة الأمل، إن مسّها الشرّ تجزع، وإن مسّها الخير تمنع، ميّالة إلى اللعب واللهو، مملوة بالغفلة والسهو، تُسرِع بي إلى الحوبة، وتسوّفني بالتوبة**»[٣].

هـ - المماطلة والتسويف في التوبة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٤].

إنّ العبد يرتكب الذنب، فإذا بادر إلى التوبة أمكنه ذلك من أن يُمحى هذا الذنب، ولكنّ النفس بخداعها وتسويفها، تمنّي الإنسان بالتأخير، فيماطل ويؤخّر إلى أن يحلّ به الموت. وهذا ما حذّرت منه الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام:

عـن الإمام علي عليه السلام: «**لا تكن ممَّن يرجـو الآخرة بغير العمل، ويرجي التوبة بطول الأمل... إن عرضت له شهوة؛ أسلف المعصية، وسوَّف التوبة**»[٥].

---

(١) الإحسائـي، ابـن أبي جمهـور: عوالي اللئالـي، تحقيق مجتبى العراقـي، ط١، قم المقدّسة، مطبعة سيـد الشهداء عليه السلام، ١٤٠٥هـ.ق/ ١٩٨٥م، ج٤، ص١١٨.

(٢) الواسطي الليثي، عيون الحكم والمواعظ، م.س، ص١٥١.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج٩١، ص١٤٣.

(٤) النساء: ١٧.

(٥) الشريف الرضي، نهج البلاغة، م.س، ج٤، الحكمة١٥٠، ص٣٨-٣٩.

موعظة وعبرة

هكذا تتراكم الذنوب:

ورد في حديثٍ عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل بأرضٍ قرعاء، فقال لأصحابه: «**ائتوا بحطب**»، فقالوا: يا رسول الله، نحن بأرض قرعاء! قال: «**فليأتِ كلّ إنسانٍ بما قدر عليه**». فجاؤوا به حتّى رموا بين يديه، بعضه على بعض، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**هكذا تجمع الذنوب**»، ثمّ قال: «**إيّاكم والمحقّرات من الذنوب؛ فإنّ لكلّ شيء طالباً، ألا وإنّ طالبها يكتب مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَـٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ**»[1].

هذا الحديث المؤثّر صورة معبّرة عن أنّ تراكم صغائر الذنوب والمعاصي يمكنه أن يولّد ناراً عظيمة اللهب.

نقرأ في حديثٍ للإمام علي عليه السلام قوله: «**أشد الذنوب ما استهان به صاحبه**»[2].

(١) تفسير نور الثقلين: ٤/ ٣٧٨، ح ٢٥.

(٢) نهج البلاغة، الكلمات القصار، رقم ٣٤٨.

وقفة تأمّلية

التدبّر في مخاطر الاغترار بالدنيا وزينتها الفانية:

شـدّد القـرآن الكريم علـى عدم الاغتـرار بمتـاع الحيـاة الدنيا وزينتهـا، حتّى المحلّلـة منها، وحذّر الإنسان مـن الوقوع في شراكهـا؛ لأنّ الشيطان يدخل في هذه المتـاع والزينـة؛ فيصرف من خلالهـا الناس عن المعـاد واليوم الآخـر، وينسيهم ذكـر الله تعالـى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[٢].

وحقيقـة الأمـر: إنّ هـذه الدنيا ليسـت إلا معبراً لمستقرّ الآخـرة، وهي زائلة عمّا قريب: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣]، ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[٤]؛ فـلا ينبغي على الإنسـان أن يستغرق فيها وينسـى ذكر الله، بل عليـه أن يستفيد منها قدر الإمكان للتزوّد في رحلته ومقصده

---

(١) الأعراف: ٥١.

(٢) لقمان: ٣٣.

(٣) يونس: ٢٤.

(٤) الحديد: ٢٠.

نحو لقاء الله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[1].

---

(١) القصص: ٧٧.

5

حالة الداعي

وَقَـدْ اَتَيْتُكَ يا اِلـهي بَعْدَ تَقْصيري وَاِسْرافي عَلى نَفْسي مُعْتَذِراً نادِمـاً مُنْكَسِراً مُسْتَقيلاً مُسْتَغْفِراً مُنيباً مُقِـرّاً مُذْعِناً مُعْتَرِفاً لا اَجِـدُ مَفَرّاً مِمّـا كانَ مِنّي وَلا مَفْزَعـاً اَتَوَجَّهُ اِلَيْهِ فـي اَمْري غَيْرَ قَبُولِكَ عُذْري وَاِدْخالِكَ اِيّايَ في سَعَة مِنْ رَحْمَتِكَ.

مفاهيم محوريّة: حالات الداعي:

١- الاعتراف بالتقصير والإسراف.

٢- الاعتذار من اللّه والندم على ما اقترف.

٣- الانكسار أمام اللّه.

٤- الإقالة إلى اللّه.

٥- الإنابة إلى اللّه.

٦- الإقرار بالذنب:

٧- الإذعان للّه تعالى.

٨- الاعتراف بالتقصير.

٩- التسليم بأنّه لا مفرّ ولا مفزع إلا إلى اللّه.

شرح المفردات:

الإسراف: أصلها سَرَفَ: «السين والراء والفاء: أصل واحد يدلّ على تعدّي الحدّ،

والإغفـال أيضـاً للشيء»[١]. و«السَّـرَفُ: تجاوز الحدّ في كلّ فعـل يفعله الإنسان، وإن كان ذلـك فـي الإنفاق أشهر. قال تعالـى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾ (الفرقان: ٦٧) ...»[٢].

مستقيـلاً: أصلهـا قَيَـلَ: «القاف والياء والـلام: أصل كلمه الواو وإنمـا كتب ها هنا للفظ»[٣]. «ومنه: أقاله الله عثرته؛ والعثرة: الخطيئة»[٤].

منيبـاً: أصلهـا نَوَبَ: «النون والواو والباء: كلمة واحـدة تدلّ على اعتياد مكان ورجوع إليه»[٥]. «والإنابة إلى الله تعالى: الرّجوع إليه بالتّوبة وإخلاص العمل. قال تعالى: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (ص: ٢٤)، ﴿وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا﴾ (الممتحنـة: ٤)، ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ (الزمر: ٥٤)»[٦].

مقـرّاً: أصلهـا قَـرَّ: «القاف والراء: أصـلان صحيحان، يـدلّ أحدهما: على برد، والآخـر: على تمكّن»[٧]. «والإِقْرَارُ: إثبـات الشيء... وقد يكون ذلك إثباتاً؛ إمّا بالقلب، وإمّا باللّسان، وإمّا بهما... قال: ﴿ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾ (البقرة: ٨٤)»[٨].

مذعنـاً: أصلهـا ذَعَـنَ: «الـذال والعيـن والنـون: أصـل واحد يـدلّ علـى الإصحاب والانقياد»[٩].

مفزعـاً: أصلهـا فَزَعَ: «الفـاء والزاء والعيـن: أصلان صحيحـان، أحدهما: الذعر،

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٣، مادّة«**سَرَفَ**»، ص١٥٣.
(٢) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«**سَرَفَ**»، ٤٠٧-٤٠٨.
(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٥، مادّة«**قَيَلَ**، ص٤٤.
(٤) الطريحي، مجمع البحرين، م.س، ج٥، مادّة«**قَيَلَ**»، ص٤٥٩.
(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٥، مادّة«**نَوَبَ**»، ص٣٦٧.
(٦) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«**نَوَبَ**»، ص٨٢٧.
(٧) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٥، مادّة«**قَرَّ**»، ص٧.
(٨) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«**قَرَّ**»، ص٦٦٢-٦٦٣.
(٩) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٢، مادّة«**ذَعَنَ**»، ص٣٥٥.

والآخر: الإغاثة»[١]. و«الفَزَعُ: انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف؛ وهو من جنس الجزع، ولا يقال: فَزِعْتُ من الله، كما يقال: خفت منه. وقوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ (الأنبياء: ١٠٣)؛ فهو الفزع من دخول النار، ويقال: فَزِعَ إليه: إذا استغاث به عند الفزع، وفَزِعَ له: أغاثه»[٢].

دلالة المقطع:

في هذا المقطع من الدعاء بيان للحالة التي ينبغي أن يكون عليها الداعي عند دعاءه وإقباله على الله؛ وهي:

١- الاعتراف بالتقصير والإسراف:

على الداعي أن يتوجّه إلى الله تعالى في دعائه بلسان الإقرار بالتقصير، ولسان حاله: أنبت إليك يا إلهي، ورجعت إليك، وأنا معترف بما قمت به من تقصير وإسراف: أمّا الاعتراف بالتقصير؛ فلأنّني كنت أمتلك القدرة على عدم الوقوع في المعصية، ولكنّني قصّرت. وأمّا الإسراف؛ فلكثرة الوقوع في الذنوب، ولكنّ ذلك كلّه لا يمنع من العودة والرجوع إلى الله:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٣].

والتعبير في الآية: بعلى أنفسهم؛ يبيّن أنّ ذنوب الإنسان تعود كلّها إليه. وخطاب هذه الآية من علامات محبّة الله لعباده ورأفته بهم.

٢- الاعتذار من الله والندم على ما اقترف:

لا يُراد بالاعتذار تبرير المعصية، بل الاعتراف بارتكابها؛ لأنّ الإنسان ليس لديه

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٤، مادّة«فَزَعَ»، ص٥٠١.

(٢) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«فَزَعَ»، ص٦٣٥.

(٣) الزمر: ٥٣.

مبـرّر لارتكاب المعاصي؛ بعـد أن بيّن الله له كلّ شيء، وحذّره من المعاصي، وكشف له عن مخاطرها.

وأمّا الندم؛ فهو أوّل درجات التوبة، فلا توبة بلا ندم؛ وهو مؤاخذة النفس:

عن الإمام علي عليه السلام: «**الندم أحد التوبتين**»[1].

وعنه عليه السلام - أيضاً-: «**الندم على الذنب يمنع عن معاودته**»[2].

ولا شكّ في أنّ الندم في هذه الدنيا أفضل من الندم في الآخرة؛ لأنّه ينفع الإنسان بفتح مجال التدارك والرجوع أمامه؛ وهو غير مُتاح في الآخرة؛ لانقطاع العمل.

٣- الانكسار أمام الله:

الانكسـار حالة خضـوع وخشوع واعتراف بالعجز والفشـل والفقر والحاجة؛ وهي تظهر على الإنسان عندما تكون سِمَته الحزن والهمّ:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**يصبح المؤمن حزيناً، ويمسي حزيناً، ولا يصلحه إلا ذاك**»[3].

وعندمـا ينكسر القلب يجـد الإنسان ربّه. ولذا، ورد أنّ النبـي صلى الله عليه وآله وسلم سُئِلَ أين الله، فقال: «**عند المنكسرة قلوبهم**»[4].

٤- الإقالة إلى الله:

وهـو طلـب الإقالـة والعفـو؛ أي أن يغفر له عثرتـه وذلّته؛ بـأن لا يحاسبه على ما اقترفت يداه. وهذا هو معنى ما ورد في فقرة أخرى من دعاء كميل: «**وأقلني عثرتي، واغفر لي زلّتي**».

---

(١) النوري، حسين: مستدرك الوسائل، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، بيروت، ١٤٠٨هـ.ق/ ١٩٨٨م، ج١٢، أبواب جهاد النفس...، باب وجوب ستر الذنوب...، ح١٣٦٧٤، ص١١٨.

(٢) النوري، مستدرك الوسائل، م.س، ج١٢، أبواب جهاد النفس...، باب وجوب ستر الذنوب...، ح١٣٦٧٤، ص١١٨.

(٣) الراوندي، قطب الدين: سلوة الحزين (المعروف بـ«**الدعوات**»)، ط١، قم المقدّسة، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام؛ مطبعة أمير، ١٤٠٧هـ.ق، ص٢٨٧.

(٤) الراوندي، الدعوات، م.س، ص١٢٠.

٥- الإنابة إلى الله:

الإنابـة هي الرجوع، فالإنسان عند ارتكابه للمعاصي يخرج من الحظيرة الإلهية، ويصبح من جند الشيطان؛ لأنّ المعصية طاعة للشيطان، فإذا تاب الإنسان رجع إلى عبوديّته لمولاه الحقّ:

قـال تعالـى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾[١].

٦- الإقرار بالذنب:

إنّ الإقرار يشمل: الاعتراف بالذنب، والاعتراف بأنّ الله وحده هو الذي يعفو عنه؛ بمعنى: أن ينطق لسانه بذلك. والإقرار بالذنب هو من شروط استجابة الدعاء:

روي عـن الإمـام الصـادق عليه السلام: «**إنّما هـي المدحـة، ثمّ الإقـرار بالذنـب، ثمّ المسألة**»[٢].

٧- الإذعان لله تعالى:

الإذعـان هو: الانقيـاد، وعدم الرفض أو المقاومة؛ وهو يرتبط بالمعرفة الصحيحة؛ لأنّ الإنسـان متى عـرف مَنْ هو ربّه، وأنّ أمره بيده؛ خضـع قلبه لذلك وانقاد له. وبهذا، يكون الإذعان أمراً قلبيّاً، وإقراراً بالباطن والنفس:

عن الإمام الباقر عليه السلام: «**لا والله، ما أراد الله تعالى من الناس إلا خصلتين: أن يقرّوا له بالنعم؛ فيزيدهم، وبالذنوب؛ فيغفرها لهم**»[٣].

٨- الاعتراف بالتقصير:

إنّ الاعتراف بالتقصير، وإظهاره أمام الله عزّ وجلّ؛ وهو العالم بالخفيات شرط

(١) الزمر: ٥٤.

(٢) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الثناء قبل الدعاء، ح٣، ص٤٨٤.

(٣) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الاعتراف بالذنوب...، ح٢، ص٤٢٦.

أساس في قبول التوبة؛ حيث ورد في كتاب الله تعالى: أنّ الاعتراف هو الذي يمهّد للإنسان قبول توبته:

قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وعن الإمام علي عليه السلام: «**حسن الاعتراف يهدم الاقتراف**»[2].

٩- التسليم بأنّه لا مفرّ ولا مفزع إلا إلى الله:

إنّ حالات التسليم بانسداد سبل الخلاص، وأن ليس للإنسان مهرب من الله، وأن لا ملجأ له إلا إليه؛ لأنّ الكلّ عاجز من دون الله تعالى؛ عندما تجمع في نفس الداعي؛ تجعله يعيش حالة التسليم التامّ بأنّ الطريق الوحيد أمامه ينحصر في أن يقبل الله عذره، وأن تشمله الرحمة الإلهية الواسعة. فبعد التوبة، وبعد قبول العذر؛ يحتاج إلى الرحمة الإلهية التي تنقله من الشقاء إلى النعيم.

---

(١) التوبة: ١٠٢.

(٢) العكبري، محمد بن النعمان (المفيد): الإرشاد، تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، ط٢، بيروت، دار النعمان، ١٤١٤هـ.ق/ ١٩٩٣م، ج١، ص٢٩٩.

وقفة تأمّلية

التدبّر في آثار الخوف في توجيه عمل الإنسان:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ ممّا حُفِظَ من خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: ... ألا إنّ المؤمن يعمل بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه؟ وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه؟ فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، وفي الشيبة قبل الكبر، وفي الحياة قبل الممات؛ فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعتب، وما بعدها مِن دار إلّا الجنّة والنار**»[(١)].

إنّ لهاتين المخافتين دور كبير في مساعدة الإنسان على تحقيق كماله المطلوب؛ لأنّ الخوف ممّا مضى يستلزم تصميماً وعزيمة على الرجوع بالتوبة والاستغفار وصالح الأعمال، والخوف ممّا سيأتي من احتمال التقصير يستلزم زيادة الجهد ومضاعفة العزيمة والعمل على تحصين النفس من الأخطار المرتقبة والمتوقّعة مستقبلاً.

ومن هنا، كان على الإنسان أن يعدّ العدّة ويتأهّب للتزوّد قدر المستطاع من الطاعات والأعمال الصالحات من هذه الدنيا لآخرته، وأن يسعى لذلك قبل كبره وشيخوخته؛ حتى لا يفوته الفوت أو يصعب عليه التدارك؛ إمّا لضعف عزيمته وهمّته على العمل، أو لرسوخ الملكات الرديئة في نفسه؛ فيصعب عندها إزالتها. وأمّا بعد الممات ومفارقة الحياة الدنيا؛ فلا ينفع حينها عتاب مستعب ولا عمل عامل ولا تدارك متدارك؛ لانقطاع العمل بعد الموت: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾[(٢)].

---

(١) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الخوف والرجاء، ح٩، ص٧٠.

(٢) فصلت: ٢٤.

6

صفات الناجين من عذاب النار

وَلَيْتَ شِعْرى يا سَيِّدي وَاِلـهي وَمَـوْلايَ اَتُسَلِّطُ النّارَ عَلى وُجُوه خَرَّتْ لِعَظَمَتِكَ ساجِدَةً، وَعَلى اَلْسُـن نَطَقَتْ بِتَوْحيدِكَ صادِقَةً، وَبِشُكْرِكَ مادِحَةً، وَعَلى قُلُوب اعْتَرَفَتْ بِاِلهِيَّتِكَ مُحَقِّقَةً، وَعَلى ضَمائِرَ حَوَتْ مِـنَ الْعِلْمِ بِكَ حَتّى صـارَتْ خاشِعَةً، وَعَلى جَوارِحَ سَعَتْ اِلى اَوْطانِ تَعَبُّـدِكَ طائِعَةً وَاَشارَتْ بِاسْتِغْفارِكَ مُذْعِنَةً، ما هكَذَا الظَّنُّ بِكَ وَلا اُخْبِرْنا بِفَضْلِكَ عَنْكَ يا كَريمُ يا رَبِّ.

مفاهيم محوريّة: صفات الناجين من النار:

١- السجود نتيجة الشعور بالعظمة الإلهيّة.

٢- لسان الاعتقاد الصادق المشفوع بالعمل على طبقه.

٣- الاعتقاد اليقيني بالألوهيّة.

٤- الخشوع والخضوع للّه.

٥- انعكاس الاعتقاد القلبي عملاً بالجوارح.

٦- الاستغفار من التقصير.

٧- حسن الظنّ باللّه.

شرح المفردات:

ليت شعري: أصلها شَعَرَ: «الشين والعين والراء: أصلان معروفان، يدلّ أحدهما: على ثبات، والآخر: على عِلْم وعَلَم... والثاني...: قولهم شعرت بالشيء؛ إذا علمته وفطنت له. وليت شعري؛ أي ليتني علمت»[1]. «قوله: ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ (المائدة: ١٠٩)؛

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٣، مادّة«شَعَرَ»، ص١٩٣-١٩٤.

أي يدريكم. وقوله: ﴿لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ (البقرة: ١٢)؛ أي لا يفطنون ويعلمون»[١].

خرّت: أصلها خَرَّ: «الخاء والراء: أصل واحد؛ وهو: اضطراب وسقوط مع صوت»[٢]. «قال تعالى: ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ (الحج: ٣١)، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ﴾ (سبأ: ١٤)، فمعنى خَرَّ سقط سقوطاً يسمع منه خرير... وقوله تعالى: ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا﴾ (السجدة: ١٥)، فاستعمال الخرّ تنبيه على اجتماع أمرين: السّقوط: وحصول الصّوت منهم بالتّسبيح، وقوله من بعده: ﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ (السجدة: ١٥)، فتنبيه أنّ ذلك الخرير كان تسبيحاً بحمد الله لا بشيء آخر»[٣].

حوت: أصلها حَوَى: «الحاء والواو وما بعده معتلّ: أصل واحد؛ وهو: الجمع. يقال: حويت الشيء أحويه حيّاً؛ إذا جمعته»[٤]. «وحويت الشيء أحويه حواية؛ إذا ضممته واستوليت عليه. وحويته ملكته وجمعته، وحوى الشيء إذا أحاط به من جهاته. واحتوى الشيء جمعه واشتمل عليه»[٥].

خاشعة: أصلها خَشَعَ: «الخاء والشين والعين: أصل واحد يدلّ على التطامن. يقال: خشع؛ إذا تطامن وطأطأ رأسه يخشع خشوعاً. وهو قريب المعنى من الخضوع؛ إلا أنّ الخضوع في البدن، والإقرار بالاستخذاء، والخشوع في الصوت والبصر»[٦]. و«الخُشُوع: الضّراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع في ما يوجد على الجوارح. والضّراعة أكثر ما تستعمل في ما يوجد في القلب... قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: ١٠٩)، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ

---

(١) الطريحي، مجمع البحرين، م.س، ج٣، مادّة «شَعَرَ»، ص٣٤٦-٣٤٧.
(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٢، مادّة «خَرَّ»، ص١٤٩.
(٣) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة «خَرَّ»، ص٢٧٧.
(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٢، مادّة «حَوَى»، ص١١٢.
(٥) الطريحي، مجمع البحرين، م.س، ج١، مادّة «حَوَا»، ص١١٢.
(٦) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٢، مادّة «خَشَعَ»، ص١٨٢.

خَٰشِعُونَ ﴾ (المؤمنون: ٢)»[١].

الظـنّ: أصلهـا ظَـنَّ: «الظـاء والنـون: [أصـل] أصيل صحيـح يدلّ علـى معنيين مختلفين: يقين، وشـك»[٢]. «فقولـه: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ (البقرة: ٤٦)، وكـذا: ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٤٩)؛ فمن اليقين، ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ (القيامة: ٢٨)، وقوله: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ (المطففين: ٤)؛ وهو نهاية فـي ذمّهم، ومعناه: ألا يكـون منهم ظَنٌّ لذلك؛ تنبيهاً أنّ أمارات البعث ظاهرة... ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ (يونس: ٣٦)»[٣].

دلالة المقطع:

يشيـر هـذا المقطع إلـى حالات الناجيـن من عـذاب النار؛ وهي حـالات مُتاحة التحصيـل أمـام الإنسان في هذه الدنيا، فـإذا تمكّن من أن ينالهـا؛ أَمِنَ من عذاب النار، وهي:

١- السجود نتيجة الشعور بالعظمة الإلهيّة:

أقـرب ما يكون الإنسان من اللّه فـي حالات السجود، ولكـنّ السجود الذي يتحدّث عنـه الإمام عليه السلام هنا؛ هو السجود نتيجة الشعور بالعظمـة الإلهية؛ أي سجود المذلّة والخضـوع والخشوع. وهو لا يتمثّل فقط فـي الحالة المعروفة في الصلاة. ولذلك عبّر القـرآن بقولـه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[٤]. فقـد قرنت الآية سجود هـؤلاء بعدم الاستكبار؛ لأنّ سجودهم سجود تذلّل للّه. وما تكبّر عنه إبليس هو السجود، مع أنّ اللّه أمره بذلك:

---

(١) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«خَشَعَ»، ص٢٨٣.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٣، مادّة«ظَنَّ»، ص٤٦٢.

(٣) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«ظَنَّ»، ص٥٣٩-٥٤٠.

(٤) النحل: ٤٩.

عـن الإمـام علي عليه السلام: «**أطيلوا السجود، فما مِنْ عمل أشدّ على إبليس من أن يرى ابن آدم ساجداً؛ لأنّه أُمِرَ بالسجود فعصى**»[١].

٢- لسان الاعتقاد الصادق المشفوع بالعمل على طبقه:

إنّ كلمـة التوحيد كلمة مفصليّة في علاقة الإنسان بربّه؛ وذلك إذا كانت صادقة؛ أي مطابقـة للاعتقـاد القلبي، وناتجة عن معرفة وشعور، وليس مجرّد لقلقة لسان، وغيـر مقترنة بالشرك الذي قد يكون في بعض مظاهره واضحاً، وفي بعضها خفيّاً؛ أي خالية حتى من الشرك الخفي.

وهـذا الموحِّد الحقيقـي يتمكّن بالفعل مـن أن يجعل حياته كلّهـا في طاعة الله، فالتوحيد الحقيقي يُورِث الإنسان العصمة من ارتكاب الذنوب.

ولذا، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «**ما من شيء أعظم ثواباً من شهادة أن لا إله إلا الله؛ لأنّ الله عزّ وجلّ لا يعدله شيء، ولا يشركه في الأمر أحد**»[٢].

والموحِّـد يتّبع ذلـك؛ بالثناء علـى الله (وبشكرك مادحة)، والقصـد من الثناء؛ الشكر لله؛ وهو ينطلق من: الاعتراف بالنعم، وأنّ الله أنعم عليه، وأنّها كلّها من الله. والشكر الحقيقي هذا هو باب الاجتباء والاصطفاء الإلهي. قال تعالى: ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٣].

كمـا أنّ الموحِّـد يُدرِك تماماً أنّ مـن النِعَم الإلهية: التوفيـق للطاعة، والبعد عن المعصيـة. ولذا، ورد في الدعاء المروي عن الإمام الحجّة عجّل الله فرجه الشريف: «**اللهمّ ارزقنا توفيق الطاعة، وبعد المعصية**»[٤].

(١) ابن بابويه، محمد بن علي بن الحسين: الخصال، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، لاط، قم المقدّسة، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية في قم المقدّسة، ١٤٠٣هـ.ق/ ١٣٦٢هـ.ش، ج٢، حديث أربعمائة، ص٦١٦.

(٢) ابن بابويه، ثواب الأعمال، م.س، ص٣.

(٣) النحل: ١٢١.

(٤) الكفعمي، المصباح، م.س، ص٢٨٠.

٣- الاعتقاد اليقيني بالألوهيّة:

وهو خصوص المعرفة القلبيّة بالألوهيّة التي يعقبها الاعتراف التامّ الذي لا يقبل الشكّ؛ أي الوصول إلى مقام اليقين في المعرفة.

والإيمان الثابت والمستقرّ هو ما كان قلبيّاً؛ لا ظاهريا فقط:

عن الإمام علي عليه السلام: «**فمن الإيمان: ما يكون ثابتاً مستقرّاً في القلوب، ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور**»[١].

٤- الخشوع والخضوع لله:

كلّما ازدادت النفس معرفة بالله؛ ازدادت خشوعاً؛ لأنّ المعرفة بحقيقة واجب الوجود باب للخشوع والخضوع لإرادته.

ولهذا الخشوع علامات وردت في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أمّا علامة الخاشع، فأربعة: مراقبة الله في السرّ والعلانية، وركوب الجميل، والتفكّر ليوم القيامة، والمناجاة لله**»[٢].

٥- انعكاس الاعتقاد القلبي عملاً بالجوارح:

إنّ المعرفة تنعكس سلوكاً على جوارح الإنسان؛ فيسعى إثرها إلى كلّ موطن فيه عبادة الله؛ وهو في ذلك طَيِّع منقاد بنفسه؛ نتيجة المعرفة الصحيحة واليقينيّة.

ولذا، وصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المعرفة التي يظهر أثرها على الجوارح؛ بأنّها: المعرفة العليا، حيث قال عليه السلام: «**أوضع العلم: ما وقف على اللسان، وأرفعه: ما ظهر في الجوارح والأركان**»[٣].

---

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، م.س، ج٢، الخطبة١٨٩، ص١٢٨-١٢٩.

(٢) الحرّاني، تحف العقول، م.س، ص٢٠.

(٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة، م.س، ج٤، الحكمة٩٢، ص٢٠.

٦- الاستغفار من التقصير:

ينبغــي على الإنســان بعد الإقرار والاعتراف بالذنــوب، أن يُذعِنَ بضرورة تدارك الذنب من خلال الاستغفار؛ أي الطلب من الله بأن يغفر له هذه الذنوب.

ولا بدّ من المداومة على الاستغفار، ولا سيّما عند ارتكاب الذنب:

عــن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**طوبى لمن وُجِدَ في صحيفـة عمله يوم القيامة تحت كلّ ذنب: أستغفر الله**»[١].

٧- حسن الظنّ بالله:

المــراد مــن الظنّ مــا نتوقّعه ممَّن يمتــاز بصفــة الرحمة والرحيميّــة (الرحمن الرحيــم)، والكرم بالخصوص. ولذا، كان النــداء: يا كريم، ليس ظنّنا بك أن تعذّب مــن كان حاملاً لهذه الصفات، ولا هذا ما أخبرتنــا به في كتابك؛ من سعة رحمتك، وعدلك.

روي عــن الإمام الصادق عليه السلام: «**يُؤتَى بعبد يوم القيامــة ظالم لنفسه، فيقول الله ألــم آمــرك بطاعتي؟ ألم أنهك عن معصيتــي؟ فيقول: بلى يا رب، ولكن غلبت علــيّ شهوتــي، فإن تعذّبني؛ فبذنبــي لم تظلمني، فيأمر الله بــه إلى النار، فيقول: مــا كان هــذا ظنّي بك، فيقول: ما كان ظنّك بي؟ قال: كان ظنّي بك، أحسن الظنّ، فيأمــر الله بــه إلــى الجنّة، فيقــول الله تبــارك وتعالى: لقد نفعك حســن ظنّك بي الساعة**»[٢].

---

(١) الطبرسي، مكارم الأخلاق، م.س، ص٣١٣.

(٢) البرقي، أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن، تصحيح وتعليق جلال الدين الحسيني، لاط، طهران، ١٣٧٠هـ.ق/ ١٣٣٠هـ.ش، ثواب من بلغه ثواب...، ح٤، ص٢٥-٢٦.

موعظة وعبرة

القلب واللسان:

ثمّة قصّة معروفة عن لقمان الحكيم، وهي أنّ مولاه دعاه - يوم كان عبداً - فقال: اذبح شاة، فأتني بأطيب مضغتين منها. فذبح شاة، وأتاه بالقلب واللسان.

وبعد عدّة أيّام، أمره أن يذبح شاة، ويأتيه بأخبث أعضائها. فذبح شاة وأتاه بالقلب واللسان، فتعجّب وسأله عن ذلك، فقال: إنّ القلب واللسان إذا طهرا فهما أطيب من كلّ شيء، وإذا خبثا كانا أخبث من كلّ شيء.

وننهي هذا البحث بحديثٍ عن الإمام الصادق عليه السلام، قال:

«والله ما أُوتي لقمان الحكمة لحسبٍ ولا مال، ولا بسطٍ في جسمٍ ولا جمال، ولكنّه كان رجلاً قويّاً في أمر الله، متورّعاً في الله، ساكتاً سكيناً عميق النظر، طويل التفكّر، حديد البصر.

ولم ينم نهاراً قطّ - أي أوّله - ولم يتّكئ في مجلسٍ قطّ - وهو عرف المتكبّرين - ولم ينقل في مجلس قومٍ قطّ، ولم يعبث بشيء قطّ، ولم يره أحد من الناس على بول ولا غائط قطّ، ولا على اغتسال لشدّة تستّره وتحفّظه في أمره.

ولم يمرّ بين رجلين يقتتلان أو يختصمان إلّا أصلح بينهما، ولم يسمع قولاً استحسنه من أحد قطّ إلّا سأله عن تفسيره وعمّن أخذه، وكان يُكثر مجالسة الفقهاء والعلماء، ويتعلّم من العلوم ما يغلب به نفسه، ويجاهد به هواه، وكان لا يظعن إلّا فيما ينفعه، ولا ينظر إلّا فيما يعينه، فبذلك أُوتي الحكمة ومنح القضية»[1].

(١) تفسير مجمع البيان بتصرّف.

وقفة تأمّلية

التفكّر في حقيقة وجود الإنسان:

إنّ تفكّرنـا فـي حقيقة وجودنـا؛ وأنّه وجود ممكـن محتاج فقير فـي أصل وجوده واستمراره؛ يقودنا إلى معرفة عظمة اللّه تعالى وقوّته وقدرته وغناه:

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**من عرف نفسه؛ فقد عرف ربّه**»[1].

وأمـام ذلك ينبغي أن تخضع نفوسنا وتخشع للّه تعالى؛ بمقتضى ما أدركت قلوبنا مـن عظمـة اللّه تعالى وقدرته وقوّتـه، وأن نندفع في شكر نعـم اللّه تعالى؛ أداءً لحقّ المنعم؛ باستعمالها في ما يرضيه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[2]، ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[3].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج٢، باب استعمال العلم...، ح٢٢، ص٣٢.

(٢) الإنسان: ٣.

(٣) النساء: ١٤٧.

7

صور من عذاب جهنّم

يا اِلهي وَرَبّي وَسَيِّدي وَمَـوْلايَ لاَيِّ الْاُمورِ اِلَيْكَ اَشْكُو وَلِما مِنْها اَضِـجُّ وَاَبْكي لاَلِيمِ الْعَذابِ وَشِدَّتِهِ، اَمْ لِطُولِ الْبَلاءِ وَمُدَّتِهِ، فَلَئِنْ صَيَّرْتَنـى لِلْعُقُوباتِ مَعَ اَعْدائِكَ وَجَمَعْتَ بَيْني وَبَيْنَ اَهْلِ بَلائِكَ وَفَرَّقْـتَ بَيْني وَبَيْنَ اَحِبّائِكَ وَاَوْلِيائِكَ، فَهَبْني يا اِلـهى وَسَيِّدي وَمَوْلايَ وَرَبّـي صَبَرْتُ عَلى عَذابِـكَ فَكَيْفَ اَصْبِـرُ عَلى فِراقِكَ، وَهَبْني صَبَـرْتُ عَلى حَرِّ نارِكَ فَكَيْفَ اَصْبِرُ عَنِ النَّظَرِ اِلى كَرامَتِكَ اَمْ كَيْفَ اَسْكُنُ فِي النّارِ وَرَجائي عَفْوُكَ.

مفاهيم محوريّة:

١- خصائص العذاب الأخروي:

- عذاب أليم.
- عذاب طويل المدّة.

٢- تنوّع العذاب في جنّهم:

- الجيران هم أعداء اللّه.
- مفارقة أولياء اللّه.
- الحرمان من لقاء اللّه.
- الحرمان من الكرم الإلهي.

شرح المفردات:

أضجّ: أصلها ضَجَّ: «الضادّ والجيم: أصل صحيح يدلّ على صياح بضجر»[1].

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٣، مادّة«ضَجَّ»، ص٣٥٩.

صيّرتني: أصلها صَيَرَ: «الصاد والياء والراء: أصل صحيح؛ وهو المآل والمرجع»[١].

صبـرت: أصلهـا صَبَرَ: «الصاد والباء والراء: أصول ثلاثـة، الأوّل: الحبس، والثاني: أعالـي الشيء، والثالث: جنس من الحجـارة»[٢]. و«الصَّبْرُ: حبس النّفس على ما يقتضيـه العقل والشرع، أو عمّا يقتضيان حبسها عنـه، فَالصَّبْرُ لفظ عامّ، وربّما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النّفس لمصيبة سمّي صبراً لا غير، ويُضَادُّه الجزع، وإن كان في محاربة سمّي شجاعة، ويضادّه الجبن، وإن كان فـي نائبـة مضجرة سمّي رحب الصّـدر، ويضادّه الضّجـر، وإن كان في إمساك الكلام سمّي كتماناً، ويضادّه المذل، وقد سمّى الله تعالى كلّ ذلك صبراً، ونبّه عليه بقوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ (البقرة: ١٧٧)»[٣].

رجائـي: أصلها رَجَى: «الراء والجيم والحرف المعتلّ: أصلان متباينان يدلّ أحدهما: علـى الأمل، والآخر: على ناحيـة الشيء. فالأوّل: الرجاء؛ وهـو الأمل. يقال رجوت الأمـر أرجـوه رجاء. ثمّ يتّسع في ذلـك، فربّما عُبِّرَ عن الخـوف بالرجاء. قال الله تعالى: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾؛ أي لا تخافون له عظمة»[٤].

دلالة المقطع:

١- خصائص العذاب الأخروي:

يشيـر مقطع هذا الدعـاء إلى خصوصيّتين مـن خصائص هذا العـذاب الأخروي، وهما:

أ- عذاب أليم:

إنّ عذاب الآخرة لا يمكن أن تقاس به عذابات هذه الدنيا إطلاقاً:

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٣، مادّة«صَيَرَ»، ص٣٢٥.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٣، مادّة«صَبَرَ»، ص٣٢٩.

(٣) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«صَبَرَ»، ٤٧٤.

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٢، مادّة«رَجَى»، ص٤٩٤.

روي عن الإمام الصادق عن أبيه، عن جدّه عن أبيه عليهم السلام: «**قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب** عليه السلام: ... **فكيف أستطيع الصبر على نار؛ لو قذفت بشرره إلى الأرض؛ لأحرقت نبتها، ولو اعتصمت نفس بقلّة؛ لأنضجها وهج النار في قلتها**»[١].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّ أهل النار يتعاوون فيها؛ كما يتعاوى الكلاب والذئاب؛ ممّا يَلقَون من ألم (أليم) العذاب... كليلة أبصارهم، صمّ، بكم، عمي، مسودّة وجوههم، خاسئين فيها، نادمين**»[٢].

ب- عذاب طويل المدّة:

إنّ بلاء النار بلاء يطول ولا يُقاس على الإطلاق بعذابات هذه الدنيا؛ لأنّها تنتهي بالموت الذي يحلّ بالإنسان، وتُقدَّر بعمر هذا الإنسان فقط، وأمّا في الآخرة فـ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾، حيث يجأر الإنسان ويصيح طالباً الموت؛ لكي يتخلّص من العذاب، ولكن يأتيه الجواب: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾[٣].

٢- تنوّع العذاب في جهنّم:

عندما تقود زبانيّة جهنّم الإنسان الذي حُكِمَ عليه في محكمة العدل الإلهية بالنار، ويُلقَى به فيها؛ فإنّه سوف يواجه نوعين من العذاب، أحدهما: العذاب الجسماني الحاصل؛ باحتراق جلده وعظمه بنار جهنّم: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[٤]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا

(١) ابن بابويه، محمد بن علي بن الحسين: الأمالي، تحقيق ونشر مؤسّسة البعثة، ط١، قم المقدّسة، ١٤١٧هـ.ق، المجلس٩٠، ح٧، ص٨١٨-٨١٩.

(٢) ابن بابويه، الأمالي، م.س، المجلس٨٢، ح١٤، ص٦٥١.

(٣) الزخرف: ٧٧.

(٤) التوبة: ٣٥.

حَكِيمًا ﴾[١]، والآخـر: هو العذاب النفسي والمعنوي المتمثّل بمظاهر عديدة: ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةِۭ﴾[٢].

ويشير هذا المقطع من الدعاء لبعض معالم هذا العذاب المعنوي:

أ- مجاورة أعداء الله:

يتبرّأ الإنسان من أعداء اللّه وأعداء رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الدنيا، حيث يعيش الكره لهم، ويدعو عليهم في الليل والنهار، ولا يطيق حتى ذكر اسمهم، ولا يتصوَّر أن يعيش معهم في مكان واحد.

ولكنّــه، في يوم القيامة؛ عندما يُحكَـم به إلى جهنّم؛ يُحكَم عليه بالاجتماع معهم، ويشــارك أعداء اللّه وأعــداء رسوله صلى الله عليه وآله وسلم نار جهنــم؛ فيتعذّب كما يتعذّبــون. وأيّ ألم نفسي يسبّبه ذلك؛ أن يرى هؤلاء الذين كان يراهم في الدنيا أعداء اللّه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم؛ وهم بالفعل كذلك، ولكنّه بسوء فعله أصبح جاراً لهم في نار جهنّم؟!

قال اللّه تعالى مصوِّراً حالة الخصومة بين أهل جهنم: ﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ۝٦٢ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٦٣ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴾[٣].

ب- مفارقة أولياء الله:

إنّ الإنسان يأنس بمَنْ يُحِبّ، والمؤمن يتمنّى في هذه الدنيا أن يجتمع مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآل محمــد عليهم السلام فــي الآخرة، وأن يُحشَــر معهم، ولكنّ أصحاب الذنــوب سوف يُكتَب عليهم بمفارقة ما يُحبّون؛ لأنّهم حيث يُحكَم بهم إلى جهنّم؛ فلن يروا آل محمد عليهم السلام ولن يجتمعوا بهم، بل إنّ الحسرة على فراقهم ستضيف عذاباً إلى عذابهم.

---

(١) النساء: ٥٦.

(٢) الهمزة: ٧-٨.

(٣) ص: ٦٢-٦٤.

ج- الحرمان من لقاء الله:

إنّ الوعـد الذي قطعه الله لعبادة الصالحين؛ هو: لقاء الله في الآخرة؛ وهو غاية الإحســان الإلهي إليهم، فالإنسان في هذه الدنيا يرجو لقاء الله ويُحبّه، ولكن، لماذا يُحرَم منه في يوم القيامة؟!

والسبب في ذلك يكمن في أنّ حبّ اللقاء لم ينعكس في حياة هذا الإنسان سلوكاً؛ فهو كمن يُحبّ لقاء إنسان والأبواب مفتوحة أمامه والسبل مشرّعة، ولكنّه لا يسلكها؛ فكيـف يتحقّق اللقــاء؟! ويظهر ذلك في لحظة المعاينــة؛ أي لحظة خروج الروح من الجسد؛ فإنّ مَنْ أحبّ لقاء الله آنذاك لقيه، وإلا حُرِمَ من اللقاء:

روي عـن الإمام الصــادق عليه السلام – لمّا سُئِلَ: مَنْ أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه، ومـن أبغض لقــاء الله أبغض الله لقــاءه؟ –، قال: «**نعـم. فقلت: فـوالله، إنّا لنكره الموت! فقال: ليس ذلك حيث تذهب، إنّما ذلك عند المعاينة، إذا رأى ما يُحبّ؛ فليس شيء أحبّ إليه من أن يتقدَّم، والله يُحبّ لقاءه، وهو يحبّ لقاء الله حينئذ، وإذا رأى مـا يكـره؛ فليسـ شـيء أبغض إليـه من لقاء الله، والله عـزّ وجلّ يبغض لقاءه**»[1].

وعن الإمــام علي عليه السلام: «**لمّا أراد الله تبارك وتعالـى قبض روح إبراهيم عليه السلام أهبـط إليـه ملك الموت، فقــال: السلام عليك يا إبراهيم، قــال: وعليك السلام يا ملـك المـوت أداعٍ أم ناعٍ؟ قال: بل داعٍ يا إبراهيم؛ فأجب! قال إبراهيم عليه السلام: فهل رأيـت خليـلاً يُميت خليله؟... فقال الله جلّ جلاله: يا ملك الموت اذهب إليه وقل له: هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه؟ إنّ الحبيب يُحبّ لقاء حبيبه**»[2].

---

(١) الكليني، الكافي، م.س، ج٣، كتاب الجنائز، باب ما يعاين المؤمن...، ح١٢، ص١٣٤.

(٢) ابـن بابويه، محمد بن علـي بن الحسين: علل الشرائع، تقديم محمد صادق بحر العلـوم، لاط، النجف الأشرف، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، ١٣٨٥هـ.ق/ ١٩٦٦م، ج١، باب٣٢، ح٩، ص٣٧.

د- الحرمان من الكرم الإلهي:

يعيش الإنسان في هذه الدنيا في ظلّ النعم الإلهية، ومتى ضاقت عليه الدنيا، ونزل به البلاء؛ اتّجه بقلبه إلى الله عزّ وجلّ، والله تعالى يستجيب له، ويعطيه، ويرفع عنه البلاء. وفي الآخرة عندما يُلقَى بالإنسان إلى جهنّم، يبقى منتظراً للكرم الإلهي، ولكنّ الحرمان هو نصيبه؛ لأنّ حكم العدل يجري عليه، وتزداد الحسرة عندما يطّلع أهل النار على أهل الجنّة، فيرون الكرامة الإلهية تحيط بهم؛ يعيشون في ظلّها، وهم محرومون منها. وهذا من عذابات جهنّم المعنوية، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1].

وإنّ أوّل طلب يطلبه أهل النار؛ هو: الماء، وهذا أمر طبيعي؛ لأنّ الشخص الذي يحترق في النار المستعرة يطلب الماء قبل أيّ شيء؛ حتّى يبرّد غليله، ويرفع به عطشه.

---

(١) الأعراف: ٥٠.

موعظة وعبرة

قبض روح المؤمن:

روي أنّ أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قد سأله قائلاً: جعلت فداك يا ابن رسول الله، هل يكره المؤمن على قبض روحه؟

قال: «**لا والله، إنّه إذا أتاه مَلَك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك، فيقول له ملك الموت: يا وليّ الله، لا تجزع؛ فوالذي بعث محمّداً، لأنا أبرّ بك وأشفق عليك من والدٍ رحيم لو حضرك، افتح عينيك فانظر. قال: ويمثل له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ذرّيتهم** عليهم السلام**، فيُقال له: هذا رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة** عليهم السلام **رفقاؤك، قال: فيفتح عينيه فينظر، فينادي روحَه منادٍ من قبل ربّ العِزّة، فيقول: «يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (إلى محمّد وأهل بيته) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً (بالولاية) مَرْضِيَّةً (بالثواب) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (يعني محمداً وأهل بيته) وَادْخُلِي جَنَّتِي**»، فما شيء أحبّ إليه من استلال روحه واللحوق بالمنادي»[1].

(١) أصول الكافي: ٣/ ١٢٧، باب إنّ المؤمن لا يكره على قبض روحه، الحديث ٢.

وقفة تأمّلية

التدبّر في آثار السعي وراء الشهوات:

روي عن الإمـام أمير المؤمنين عليه السلام: «**غالِبِ الشهوةَ قبلَ قوّةِ ضَراوَتِها؛ فإنّها إنْ قَوِيتْ ملكَتْكَ، واستفادتْكَ، ولم تقدر على مقاومتها**»[1].

ينبغـي علينا أن نجاهد أنفسنا مجاهدة تتروّض معها قوى النفس، فتعتدل تحت إمـرة العقل؛ وذلك قبل أن تتمكّن الشهوات منّا وتأخـذ مأخذها؛ فينتج عنها ملكات قبيحـة راسخة؛ فلا تعـد إزالتها سهلة يسيـرة، بل تصبح هي التـي تسيّرنا وتتحكّم بأفعالنا الصادرة عنّا.

---

(١) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، م.س، ص٣٥٠.

8

سعة رحمة اللّه

اَفَتُـراكَ سُبْحانَـكَ يا الهى وَبِحَمْـدِكَ تَسْمَعُ فيهـا صَوْتَ عَبْـد مُسْلِم سُجِنَ (يُسْجَـنُ) فيهـا بِمُخالَفَتِـه، وَذاقَ طَعْمَ عَذابِهـا بِمَعْصِيَتِـه وَحُبِسَ بَيْنَ اَطْباقِهـا بِجُرْمِه وَجَريرَتِه وَهُوَ يَضِجُّ اِلَيْكَ ضَجيجَ مُؤَمِّل لِرَحْمَتِكَ، وَيُناديكَ بِلِسانِ اَهْلِ تَوْحيدِكَ، وَيَتَوَسَّلُ اِلَيْكَ بِرُبُوبِيَّتِكَ، يا مَوْلاىَ فَكَيْفَ يَبْقى فِي الْعَذابِ وَهُوَ يَرْجُو ما سَلَفَ مِنْ حِلْمِكَ، اَمْ كَيْفَ تُؤْلِمُهُ النّارُ وَهُوَ يَأْمُلُ فَضْلَكَ وَرَحْمَتَـكَ اَمْ كَيْفَ يُحْرِقُـهُ لَهيبُها وَاَنْتَ تَسْمَعُ صَوْتَهُ وَتَـرى مَكانَه اَمْ كَيْفَ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ زَفيرُها وَاَنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفَهُ، اَمْ كَيْفَ يَتَقَلْقَلُ بَيْنَ اَطْباقِها وَاَنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَـهُ، اَمْ كَيْفَ تَزْجُرُهُ زَبانِيَتُها وَهُوَ يُناديكَ يـا رَبَّهُ، اَمْ كَيْفَ يَرْجُو فَضْلَكَ في عِتْقِه مِنْهـا فَتَتْرُكُهُ فيها هَيْهاتَ ما ذلِكَ الظَّنُ بِكَ وَلاَ الْمَعْرُوفُ مِنْ فَضْلِكَ وَلا مُشْبِهٌ لِما عامَلْتَ بِهِ الْمُوَحِّدينَ مِنْ بِرِّكَ وَاِحْسانِكَ.

مفاهيم محوريّة:

١- فعل الإنسان سبب للعذاب.

٢- صفات الخارجين من النار:

- الاعتقاد بالتوحيد.
- الإيمان بسعة الرحمة الإلهيّة.
- الإقرار بالعلم الإلهيّ المحيط.
- التسليم بالربوبيّة.

شرح المفردات:

أطباقها: أصلها طَبَقَ: «الطاء والباء والقاف: أصل صحيح واحد؛ وهو يدلّ على وضع شـيء مبسوط على مثله حتى يغطيه؛ من ذلك: الطبق. تقول: أطبقت الشيء على الشيء؛ فالأوّل طبق للثاني، وقد تطابقا... ويقال لما علا الأرض حتى غطاها؛ هو طبق الأرض»[1]. «قال تعالـى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ (الملك: ٣)؛ أي:

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٣، مادّة«طَبَقَ»، ص٤٣٩.

بعضها فوق بعض»[١].

جرمـه: أصلها جَرَمَ: «الجيم والراء والميـم: أصل واحد يرجع إليه الفروع. فالجرم القطع... وممّا يرد إليه قولهم: جرم؛ أي كسب؛ لأنّ الذي يحوزه فكأنّه اقتطعه... والجرم والجريمة: الذنب؛ وهو من الأوّل؛ لأنّه كسب والكسب اقتطاع»[٢].

جريرته: أصلها جَرَّ: «الجيم والراء: أصل واحد؛ وهو: مدّ الشيء وسحبه... والجريرة ما يجرّه الإنسان من ذنب؛ لأنّه شيء يجرّه إلى نفسه»[٣]. «والجريرة: هي الجناية والذنب، سمّيت بذلك لأنّها تجرّ العقوبة إلى الجاني»[٤].

مؤمِّل: أصلها أَمَلَ: «الهمزة والميم واللام: أصلان، الأوّل: التثبّت والانتظار، والثاني: الحبل من الرمل»[٥]. و«الأمل: الرجاء؛ وهو ضدّ اليأس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (الكهف: ١٨)... وتأمّل الشيء: نظر فيه ليعلم عاقبته»[٦].

يتوسَّل: أصلها وَسَلَ: «الواو والسين واللام: كلمتان متباينتان جدّاً، الأولى: الرغبة والطلب... والأخرى: السرقة»[٧]. «وحقيقةُ الوَسِيلَةِ إلى الله تعالى: مراعاة سبيله بالعلم والعبادة، وتحرّي مكارم الشّريعة؛ وهي كالقربة، والوَاسِلُ: الرّاغب إلى الله تعالى»[٨].

زفيرها: أصلها زَفَرَ: «الزاء والفاء والراء: أصلان، أحدهما: يدلّ على حمل، والآخر: على صوت من الأصوات»[٩]. «﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ (الأنبياء: ١٠٠)؛ فَالزَّفِيرُ: تردّد

---

(١) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«طَبَقَ»، ص٥١٦.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج١، مادّة«جَرَمَ»، ص٤٤٥-٤٤٦.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج١، مادّة«جَرَّ»، ص٤١٠-٤١١.

(٤) الطريحي، مجمع البحرين، م.س، ج٣، مادّة «جَرَرَ»، ص٢٤٤.

(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج١، مادّة «أَمَلَ»، ص١٤٠.

(٦) الطريحي، مجمع البحرين، م.س، ج٥، مادّة «أَمَلَ»، ص٣١٠-٣١١.

(٧) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٦، مادّة «وَسَلَ»، ص١١٠.

(٨) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة «وَسَلَ»، ص٨٧١.

(٩) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٣، مادّة «زَفَرَ»، ص١٤.

النّفس حتى تنتفخ الضّلوع منـه، وازْدَفَرَ فلان كذا: إذا تحمّله بمشقّة، فتردّد فيه نفسه»[١].

يتقلقل: أصلها قَلَلَ: «القاف واللام: أصلان صحيحان؛ يدلّ أحدهما: على نزاره الشيء، والآخر: على خلاف الاستقرار؛ وهو الانزعاج. وأمّا الأصل الآخر، فيقال: تقلقل الرجل وغيره؛ إذا لم يثبت في مكان، وتقلقل المسمار؛ قلق في موضعه»[٢].

تزجره: أصلها زَجَرَ: «الزاء والجيم والراء: كلمة تدلّ على الانتهار»[٣]. و«الزَّجْرُ: طرد بصوت، يقال: زَجَرْتُه فَانْزَجَرَ، قال: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (النازعات: ١٣)، ثمّ يستعمل في الطَّرد تارة، وفي الصّوت أخرى. وقوله: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ (الصافات: ٢)؛ أي: الملائكة التي تَزْجُرُ السّحاب، وقوله: ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ (القمر: ٤)؛ أي: طرد ومنع عن ارتكاب المآثم»[٤].

برّك: أصلها بَرَّ: «الباء والراء في المضاعف؛ أربعة أصول: الصدق، وحكاية صوت، وخلاف البحر، ونبت. فأمّا الصدق، فقولهم: صدق فلان، وبرّ وبرّت يمينه؛ صدقت، وأبرّها: أمضاها على الصدق. وتقول: برّ اللّه حجّك، وأبره، وحجّة مبرورة؛ أي: قبلت قبول العمل الصادق»[٥].

إحسانك: أصلها حَسَنَ: «الحُسْنُ: عبارة عن كلّ مبهج مرغوب فيه... والإحسان يقال على وجهين، أحدهما: الإنعام على الغير؛ يقال: أحسن إلى فلان. والثاني: إحسان في فعله؛ وذلك إذا علم علماً حسناً، أو عمل عملاً حسناً... والإحسان أعمّ من الإنعام. قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ (الإسراء: ٧)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠)؛ فالإحسان فوق العدل؛

(١) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة «زَفَرَ»، ص٣٨٠.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٥، مادّة«قَلَلَ»، ص٣-٤.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٣، مادّة«زَجَرَ»، ص٤٧.

(٤) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«زَجَرَ»، ص٣٧٨.

(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج١، مادّة«بَرَّ»، ص١٧٧.

وذاك أنّ العدل هو أن يعطي ما عليه، ويأخذ أقلّ ممّا له، والإحسان أن يعطي أكثر ممّا عليه، ويأخذ أقلّ ممّا له»[(١)].

دلالة المقطع:

١- فعل الإنسان سبب للعذاب:

يدفـع الإنسـان عن نفسـه في هذه الدنيـا أيّ ضرر قـد يلحق به، ويحـذر دائماً؛ فيتجنّـب المخاطـر، ولكنّه يغفل عن مضارّ الآخرة وعذاباتها، بـل إنّه باختياره يقود نفسه إلى النار. ولذا، عبّرت الآية الكريمة عن ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[(٢)].

فالمعصيـة ومخالفـة أوامـر الله؛ جرائم تنتهي بالمـرء إلى النار، مـن حيث إنّ الإنسـان يخاف فـي هذه الدنيا مـن عقوبات سائـر الناس؛ ولا يخـاف من عقوبات العزيز الجبّار:

عـن الإمـام الصادق عليه السلام: «**كتب رجـل إلى أبـي ذر - (رضي الله عنـه) - يا أبا ذر! أطرفنـي بشـيء مـن العلـم، فكتب إليـه: أنّ العلم كثيـر، ولكن إن قـدرت أن لا تسيء إلى من تحبّه؛ فافعل، قال: فقال له الرجل: وهل رأيت أحداً يسيء إلى من يحبّه؟! فقال له: نعم، نفسك أحبّ الأنفس إليك، فإذا أنت عصيت الله؛ فقد أسأت إليها**»[(٣)].

٢- صفات الخارجين من النار:

ليـس أهل النار كلّهم سواء فـي العذاب؛ فمنهم: المخلَّـدون، ومنهم الذين يُكتب لهم الخروج منها، حيث روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يخرج من النار مَنْ كان في قلبه**

(١) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«بَرَّ»، ص٢٣٥-٢٣٧.

(٢) يونس: ٤٤.

(٣) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب محاسبة العمل، ح٢٠، ص٤٥٨.

مثقال ذرّة من إيمان»[1].

فـذرّة الإيمـان هذه تجعـل الإنسان يعيشـ الأمل بالخـروج؛ ولذا يبقـى مثل هذا الإنســان يتوسَّل إلى اللّه عزّ وجلّ؛ لكـي يُخرِجَه منها. ويبيّن هذا المقطع من الدعاء بعض صفات هؤلاء الناس:

أ- الاعتقاد بالتوحيد:

إنّ المـرء الـذي أودت بـه معاصيـه إلى النار يبقـى لديه الأمل بـأن يشمله العفو الإلهـي؛ فهـو يدرك سعـة الرحمة الإلهية. ولـذا، يبدأ بنداء اللّه، وهـذا النداء نداء مفعم بالرحمة؛ سببه ما لديه من إيمان بسعة الرحمة الإلهية.

كما أنّ كونه من الموحِّدين في هذه الدنيا، ولكنّ الشيطان استزلّه بالمعصية؛ فهو ينـادي اللّه باللسان الذي يناديه به أهـل التوحيد؛ وهم الذين يعرفون أنّ الأمور كلّها بيـد اللّه؛ فهو ينـادي اللّه فقط لأنّه يعلم أنّ بيده كلّ شيء، ويعـرف ـ أيضاً ـ أنّ الربّ المتصرّف في كلّ شيء؛ هو اللّه وحده. ولذا، يكون توسّله بالربوبيّة الإلهية.

ب- الإيمان بسعة الرحمة الإلهيّة:

إنّ اليأسـ هو الذي يغلق للإنســان الباب أمام الظفر بما يريـد؛ ولذا، فإنّ الأمل مـا دام موجوداً؛ فاحتمـالات النجاة تبقى قائمة، ومـن كان يتنعّم بنعم اللّه في هذه الدنيـا؛ سوف يُدرك أنّ العادة الإلهية هي الرحمـة والعطاء لعباده. وهذا ما يفتح له باب الأمل في الآخرة: ﴿ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[2].

ج- الإقرار بالعلم الإلهيّ المحيط:

عندما يُدرِك الإنسان سعة العلم الإلهي، يمتنع في هذه الدنيا عن ارتكاب الذنوب؛ لأنّه سوف يشعر بالرقابة الإلهية، كما أنّه في حالات البلاء يلجأ إلى اللّه؛ لإدراكه أنّ

---

(١) المتّقي الهندي، كنز العمّال، م.س، ج١، ح٢٨٤، ص٧٢.

(٢) الحجر: ٥٦.

اللّه عليم بالبلاء المحيط به؛ وهو وحده القادر على رفعه عنه. وكذلك، حال الإنسان فـي نار جهنم؛ فإنّـه إذا كان مُدرِكاً لسعة العلم الإلهي؛ سوف يرى فيه أملاً بالنجاة، فاللّه مطَّلع على مَنْ يُعذب من عباده في جهنّم؛ ممَّن يحترق بنارها، ولكنّه لم ييأس، بـل هو ينادي ربّه، وكما سمع اللّه نداءه في الدنيـا؛ فإنّ اللّه يسمع نداءه في الآخرة، وكما استجاب له في الدنيا؛ سوف يستجيب له في الآخرة.

فالإنسان يُدرِك تماماً أنّ هذا العذاب تطهير له من الذنوب؛ لكي تُكتب له النجاة، ولذا يلجأ إلى اللّه دائماً.

واللّه عـزّ وجلّ عليم بما ينادي به الإنسان، وبالمكان الذي يحلّ فيه، وبضعفه عن تحمُّل العذاب، وبصدقه في الدعاء.

د- التسليم بالربوبيّة:

إنّ أهمّ ما في دعاء الإنسان وقوفه مخاطباً إيّاه خطاباً مباشراً منادياً: «**يا ربّاه**»؛ وهـذه الكلمة فيها استعطاف، ولكي يكون هذا الاستعطـاف صادقاً؛ لا بدّ للداعي أن يتوافر على شروط استجابة الدعاء، ونشير هنا إلى بعضها:

معرفة من ندعو: عندما نتّجه إلى اللّه بالدعاء؛ لا بدّ وأن نستحضر ما نعتقده في الذات الإلهية؛ من أنّها الذات المالكة لنا تماماً، وأنّنا لسنا أمامها سوى عبيد أرقّاء، فينبغـي للداعـي أن يستشعر المذلّة أمام عظمـة الذات الإلهية. وهـذا لا يتحقّق إلّا بالمعرفة الصحيحة بعظمة الذات الإلهية.

التوجّـه التامّ: ينبغي على الإنسان عندما يلجأ إلى ربّه أن يكون مُخلصاً في ذلك؛ أي أن لا يجعـل فـي قلبـه تعلّقـاً بقضاء حاجته من قِبَـل أيّ أحد سـوى اللّه، فلا يقع فـي الشرك في الطلب والدعاء؛ وهذا يتحقّق عندمـا ينتقل الداعي إلى حالات قلبيّة يمتلك فيها حضوراً تامّاً للّه عزّ وجلّ.

في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا اقشعرّ جلدك، ودمعت عيناك، ووجل**

قلبك؛ فدونك دونك، فقد قصد قصدك»[١].

فتحقّق الحاجة متوقِّف على نفوذ الشعور إلى داخل كيان هذا الإنسان.

نداء المذلّة: نداء «يا ربّاه»؛ نداء يتعلّق فيه الإنسان بصفة الربوبيّة الإلهيّة التي تعني: أنّ اللّه هو المتصرّف المطلق وحده دون غيره بهذا الإنسان؛ فهو الربّ، ولا ربّ غيره؛ وهذا معنى: أن لا يدعو الإنسان بظهر قلب لاهٍ:

عن الإمام الصادق عليه السلام: « **قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا يقبل اللّه عزّ وجلّ دعاء قلب لاهٍ»**[٢].

ولذا، تكتسب صورة الداعي دوراً أساساً في استجابة الدعاء؛ بأن يقف موقف العبد الذليل، ولا عجب من ذلك؛ فهذا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقف بين يدي اللّه بهذا الموقف؛ ففي الرواية عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «**كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يرفع يديه إذا ابتهل، ودعا كما يستطعم المسكين»**[٣].

حسن الظنّ باللّه: من الأمور التي ينبغي على الداعي أن يستحضرها؛ وهو ما ورد في هذا المقطع من الدعاء: «ما ذلك الظنّ بك، ولا المعروف من فضلك»؛ أن يكون حَسَنَ الظنّ باللّه، فالإنسان إذا أدرك ما أعطاه اللّه عزّ وجلّ؛ فسوف يُحسِن ظنّه بأنّ اللّه سيعطيه حاجته التي يسألها، وعندما يكرّر الداعي في بعض الأدعية أو يتوسّل بالاسم المبارك «يا كريم»، فإنّ عليه أن يلتفت إلى أنّ معنى ذلك الإقرار بما جرت عليه العادة الإلهية من العطاء:

روي عن الإمام الباقر عليه السلام: «**وجدنا في كتاب علي عليه السلام أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال - وهو على منبره-: والذي لا إله إلا هو، لا يُحسن ظنّ عبد مؤمن باللّه إلا كان اللّه عند ظنّ عبده المؤمن؛ لأنّ اللّه كريم بيده الخيرات، يستحيي أن يكون**

---

(١) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الدعاء، باب الأوقات...، ح٨، ص٤٧٨.

(٢) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الدعاء، باب الإقبال على الدعاء، ح٢، ص٤٧٣.

(٣) الطوسي، الأمالي، م.س، المجلس٢٤، ح١٦، ص٥٨٥.

عبـده المؤمن قـد أحسن به الظنّ، ثمّ يخلف ظنّه ورجـاءه؛ فأحسنوا بالله الظنّ، وارغبوا إليه»[١].

والإنســان إذا أحسن الظــنّ بالله لم يطلب شيئاً من غير الله، ومن يطلب الحاجة من غير ربّه؛ فقد أساء الظنّ بالله:

روي عـن الإمــام الصــادق عليه السلام: «**حسن الظـنّ بـالله: أن لا ترجـو إلا الله، ولا تخاف إلا ذنبك**»[٢].

لقد ذمّ الله في آيات كتابه الكريم من الناس؛ مَنْ كان يظنّ السوء بالله؛ بأن يظنّه ظالماً، بخيلاً لا يعطي مَنْ يدعوه:

قـال تعالـى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[٣].

---

(١) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب حسن الظنّ بالله، ح٢، ص٧١-٧٢.

(٢) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب حسن الظنّ بالله، ح٤، ص٧٢.

(٣) الفتح: ٦.

وقفة تأمّلية

التدبّر في آثار فعل الغضب الصادر عن الإنسان:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أوحى الله عزّ وجلّ إلى بعض أنبيائه: يا ابن آدم اذكرني في غضبك؛ أذكرك في غضبي؛ لا أمحقك في من أمحق، وارض بي منتصراً؛ فإنّ انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك**»[١].

وعنه عليه السلام -أيضاً-: «**الغضب مفتاح كلّ شرّ**»[٢].

وقد أشارت بعض الروايات إلى بعض الأمور العملية التي يمكن أن يحتكم إليها المرء في كبح جماح الغضب:

عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: «**إنّ الرجل ليغضب؛ فما يرضى أبداً حتى يدخل النار، فأيّما رجل غضب على قوم وهو قائم؛ فليجلس من فوره ذلك؛ فإنّه سيذهب عنه رجز الشيطان، وأيّما رجل غضب على ذي رحم؛ فليدن منه فليمسه؛ فإنّ الرحم إذا مست سكنت**»[٣].

وعنه عليه السلام -أيضاً-: «**إنّ هذا الغضب جمرة من الشيطان تُوقد في قلب ابن آدم. وإنّ أحدكم إذا غضب احمرّت عيناه وانتفخت أوداجه ودخل الشيطان فيه، فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه؛ فليلزم الأرض؛ فإنّ رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك**»[٤].

---

(١) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب، ح٨، ص٣٠٣-٣٠٤.

(٢) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب، ح٣، ص٣٠٣.

(٣) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب، ح٢، ص٣٠٢.

(٤) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب، ح١٢، ص٣٠٤-٣٠٥.

9

الرقابة الإلهيّة

اِلهــى وَسَيِّدى فَأَسْأَلُــكَ بِالْقُدْرَةِ الَّتى قَدَّرْتَهــا ، وَبِالْقَضِيَّةِ الَّتي حَتَمْتَها وَحَكَمْتَها وَغَلَبْتَ مَنْ عَلَيْهِ اَجْرَيْتَها اَنْ تَهَبَ لى فى هذِهِ اللَّيْلَــةِ وَفي هــذِهِ السّاعَةِ كُلَّ جُرْمٍ اَجْرَمْتُــهُ ، وَكُلَّ ذَنْبٍ اَذْنَبْتُهُ ، وَكُلَّ قَبِيــحٍ اَسْرَرْتُهُ ، وَكُلَّ جَهْلٍ عَمِلْتُهُ ، كَتَمْتُهُ اَوْ اَعْلَنْتُهُ اَخْفَيْتُهُ اَوْ اَظْهَرْتُــهُ ، وَكُلَّ سَيِّئَــةٍ أَمَــرْتَ بِاِثْباتِهَا الْكِــرامَ الْكاتِبينَ الَّذينَ وَكَّلْتَهُمْ بِحِفْظِ ما يَكُونُ مِنّي وَجَعَلْتَهُمْ شُهُوداً عَلَيَّ مَعَ جَوارِحي ، وَكُنْتَ اَنْتَ الرَّقيــبَ عَلَيَّ مِنْ وَرائِهِمْ ، وَالشّاهِدَ لِما خَفِيَ عَنْهُمْ ، وَبِرَحْمَتِكَ اَخْفَيْتَهُ ، وَبِفَضْلِكَ سَتَرْتَهُ .

مفاهيم محوريّة:

- الاختيار ميّزة الإنسان.
- أصناف الذنوب.
- شهادة الملائكة على أعمال العباد.
- شهادة الجوارح.
- الشاهد الذي لا يخفى عليه شيء.
- الرحمة الإلهية خير ساتر للعباد.

المفردات:

قدّرتها: أصلها قَدَرَ: «القاف والدال والراء: أصل صحيح يدلّ على مبلغ الشيء وكنهه ونهايتــه... والقدر قضاء اللّه تعالــى الأشياء على مبالغهــا ونهاياتها التي أرادها لها»[1].

حتمتهـا: أصلها حَتَمَ: «الحاء والتاء والميم: ليس عندي أصلاً، وأكثر ظنّي أنّه أيضاً

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٥، مادّة«قَدَرَ»، ص٦٢.

مـن باب إبـدال التاء من الـكاف؛ إلا أنّ الذي فيه من إحكام الشـيء»[١]. و«قوله تعالـى: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا﴾ (مريـم: ٧١)؛ الحتـم: الواجـب المعـزوم عليـه... وحتم عليه الأمر حتماً: أوجبه جزماً. وحتـم اللّه الأمر: أوجبه. والحتم: إحكام الأمر. والحتم: إيجاب القضاء. والحتم: الأمر»[٢].

حكمتهـا: أصلها حَكَمَ: «الحاء والـكاف والميم: أصل واحد؛ وهو المنع»[٣]. «والحُكْم بالشـيء: أن تقضـي بأنّه كذا، أو ليس بكذا؛ سواء ألزمت ذلك غيره أم لم تلزمه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ (النساء: ٥٨)»[٤].

أجريتها: أصلها جَرَى: «الجيم والراء والياء: أصل واحد؛ وهو انسياح الشيء»[٥].

الرقيـب: أصلهـا رَقَبَ: «الراء والقاف والباء: أصل واحـد مطّرد؛ يدلّ على انتصاب لمراعاة شيء. من ذلك: الرقيب؛ وهو الحافظ»[٦].

الشاهد: أصلها شَهَدَ: «الشين والهاء والدال: أصل يدلّ على حضور وعلم وإعلام»[٧]. و«الشُّهُـودُ والشَّهَادَةُ: الحضور مع المشاهدة، إمّـا بالبصر، وإمّا بالبصيرة، وقد يقال للحضور مفرداً. قـال اللّه تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ (السجدة: ٦)، لكن الشهود بالحضور المجرّد أولى، والشّهادة مع المشاهدة أولى»[٨].

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٢، مادّة «حَتَمَ»، ص١٣٤.

(٢) الطريحي، مجمع البحرين، م.س، ج٦، مادّة «حَتَمَ»، ص٣٢.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٢، مادّة «حَكَمَ»، ص٩١.

(٤) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة «حَكَمَ»، ص٢٤٨.

(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج١، مادّة «جَرَى»، ص٤٤٨.

(٦) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٢، مادّة «رَقَبَ»، ص٤٢٧.

(٧) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٣، مادّة «شَهَدَ»، ص٢٢١.

(٨) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة «شَهَدَ»، ص٤٦٥.

دلالة المقطع:

١- الاختيار ميّزة الإنسان:

ميّز اللّه عزّ وجلّ الإنسان عن سائر المخلوقات، بأن أعطاه العقل، والشهوة، وجعل له الاختيار، فالملائكة لا تتمكّن من معصية الأوامر الإلهية؛ ولهذا وصفهم اللّه تعالى، بقوله: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1]. والأنعام لا تملك العقل الذي يتحكّم بتصرّفاتها، وأمّا الإنسان فهو الموجود المختار، وباختياره هذا قد يكون أفضل من الملائكة، وقد يكون أضلّ من الأنعام:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام - وقد سأله عبد اللّه بن سنان: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ - قال: «**قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته؛ فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شرّ من البهائم**»[2].

٢- أصناف الذنوب:

ليست الذنوب على حدّ سواء؛ فمن الذنوب: ما يكون عظيماً وكبيراً، ومنها: ما يكون صغيراً، ومنها: ما يتجاهر الإنسان به، ومنها: ما يرتكبه في الخفاء. نعم لكلّ ذنب عقابه، وكلّ ذنب يقترفه الإنسان يُوجِب بُعدَه عن القرب الإلهي. قال تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾[3].

نعم، الُمتجَاهِر بالمعصية أشدّ سوءاً ممَّن يخفي المعصية:

روي عن الإمام علي عليه السلام: «**إيّاك والمجاهرة بالفجور؛ فإنّها من أشدّ المآثم**»[4].

(١) التحريم: ٦.
(٢) ابن بابويه، علل الشرائع، م.س، ج١، الباب٧، ح١، ص٤-٥.
(٣) الأنعام: ١٢٠.
(٤) الواسطي الليثي، عيون الحكم والمواعظ، م.س، ص٩٥.

وكذلــك الحال في مَنْ يستصغر الذنب؛ أي يرتكبه ولا يدرك خطره، فيوقعه ذلك في تكراره:

روي عـن الإمـام علي عليه السلام: «**أعظـم الذنوب عنـد الله سبحانه ذنـب صغر عند صاحبه**»[١].

٣- شهادة الملائكة على أعمال العباد:

مـن المهام التي أوكلها الله للملائكة حفظ أعمال العباد؛ ليكونوا شهوداً عليه في محكمـة العـدل الإلهي في يـوم القيامة. قال تعالـى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[٢].

فهؤلاء شهود محيطون بكلّ شيء:

روي عـن الإمـام علـي عليه السلام: «**اعلمـوا عبـاد الله أنّ عليكـم... حفّـاظ صـدق؛ يحفظـون أعمالكـم، وعـدد أنفاسكـم، لا تستركـم منهم ظلمـة ليـلٍ داجٍ، ولا يكنكم منهم باب ذو رتاجٍ**»[٣].

ولــذا، كان على الإنسان، الذي يظـنّ أنّه يتمكّن من ارتكاب المعصية في الخفاء، أن يستحي من الملكين اللّذين يراقبان ما يقوم به حتى في الخفاء. وهذا الحياء إذا وُجِدَ عند الإنسان؛ منعه من ارتكاب الذنب:

روي عـن الإمام الصــادق عليه السلام - لمّا سأله زنديق عن علّــة الملائكة المُوكَلين؛ والله عالــم السرّ، وما هو أخفى! -: «**استعبدهـم بذلك، وجعلهم شهوداً على خلقه؛ ليكـون العبـاد لملازمتهم إيّاهـم أشدّ على طاعة الله مواظبـة، وعن معصيته أشدّ انقباضـاً، وكم من عبد يهمّ بمعصية، فذكـر مكانهما؛ فارعوى وكفّ، فيقول: ربّي يرانـي وحفظتـي علـيّ بذلك تشهـد، وإنّ الله برأفتـه ولطفه أيضاً وكّلهـم بعباده؛**

(١) الواسطي الليثي، عيون الحكم والمواعظ، م.س، ص١١٢.

(٢) ق: ١٨.

(٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة، م.س، ج٢، الخطبة١٥٧، ص٥٢-٥٣.

يذبّون عنهم مردة الشياطين، وهوام الأرض، وآفات كثيرة من حيث لا يرون بإذن الله، إلى أن يجيء أمر الله عزّ وجلّ»[١].

وورد في الروايات حثّ على المبادرة إلى الاستغفار بعد الوقوع في الذنب؛ لأنّ ذلك يمنع من تسجيله في صحيفة الأعمال:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من عمل سيّئة أجّل فيها سبع ساعات من النهار، فإن قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ثلاث مرّات لم تكتب عليه**»[٢].

٤- شهادة الجوارح:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾[٣].

مشهد غير مألوف ولا معروف في هذه الدنيا؛ أعضاء الإنسان تتكلّم، وتمتثل الأمر الإلهي؛ فتشهد على الإنسان بما فعل، كيف وهي التي كانت إرادة الإنسان تحرّكها لترتكب الذنب؟؛ فهي أعرف ما يكون بما فعل الإنسان.

ويتّجه الإنسان باللوم عليها، يظنّ أنّها تقف إلى جانبه لتدفع عنه، أو تكون شهادتها شهادة زور، ولكنّه لا يعلم أنّها مطيعة لخالقها، مع كونه قادراً على التحكّم بها في هذه الدنيا؛ فإذا جاء يوم القيامة كان لها حرّيّة التصرّف؛ فامتثلت أمر الله:

روي عن الإمام علي عليه السلام: «**خُتِمَ على الأفواه فلا تكلّم، وقد تكلّمت الأيدي،**

---

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن: الاحتجاج، تعليق وملاحظات محمد باقر الخرسان، لاط، النجف الأشرف، دار النعمان، ١٣٨٦هـ.ق/ ١٩٦٦م، ج٢، في ما احتجّ الصادق عليه السلام ...، ص٩٥.

(٢) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الاستغفار من الذنب، ح٢، ص٤٣٧.

(٣) فصلت: ٢٠-٢٢.

وشهدت الأرجل، ونطقت الجلود؛ بما عملوا، فلا يكتمون الله حديثاً»[١].

وهذه الصورة، إذا كانت حاضرة عند الإنسان في هذه الدنيا؛ فإنّه لن يُقدِمَ على ارتكاب الذنب؛ لخشيته من هذا الموقف.

٥- الشاهد الذي لا يخفى عليه شيء:

كلّمـا كان الشاهـد أقرب؛ كلّما كان أعرف وأكثر علماً. واللّه عزّ وجلّ هو أقرب ما يكـون إلى العباد؛ ولـذا كانت الرقابة الإلهية تامّة، قـال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[٢].

وهـذا الشاهد على كلّ شيء هو الحاكـم في يوم القيامة؛ ولذا كان لا بدّ من توقّي الوقوع في المعصية:

روي عـن الإمـام علي عليه السلام: «**اتّقوا معاصـي الله في الخلوات؛ فـإنّ الشاهد هو الحاكم**»[٣].

ومـن استشعر الرقابة الإلهية، امتنع من ارتكاب الذنب أولاً، وبادر عند الزلل إلى التوبة:

روي عـن الإمام الصـادق عن أبيه عليهما السلام: «**قـال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: طوبـى لصورة نظـر الله إليهـا تبكـي على ذنب من خشية الله عزّ وجلّ، لـم يطّلع على ذلك الذنب غيره**»[٤].

٦- الرحمة الإلهية خير ساتر للعباد:

إنّ الرحمـة الإلهية قد تقضي بإخفاء شـيء على الملكين؛ لأنّ اللّه يعلم أنّ الذنب من العبد كان زلّة، وأنّه سيمحوها بالتوبة.

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج٧، ص٣١٣.

(٢) ق: ١٦.

(٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة، م.س، الحكمة ٣٢٤، ص٧٧.

(٤) ابن بابويه، ثواب الأعمال، م.س، ص١٦٧.

ومـن هنا، تظهر أهمّيّة أن يُراقب الإنسان نفسه؛ فإنّه بذلك يقي نفسه من الوقوف موقفاً لا يحبّه أحد من الناس في يوم القيامة، حيث تكون الفضيحة على رؤوس الأشهاد:

روي عن الإمام علي عليه السلام: «**اجعل من نفسك على نفسك رقيباً، واجعل لآخرتك من دنياك نصيباً**»[١]. نعم، هذا الأمر يمكن أن يتحقّق؛ إذا تعلّمت الناس على ذلك؛ بأن تدرَّجت فيه:

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**عوّدوا قلوبكم الترقّب، وأكثروا التفكّر والاعتبار**»[٢].

(١) الواسطي الليثي، عيون الحكم والمواعظ، م.س، ص٨٥.

(٢) المتّقي الهندي، كنز العمّال، م.س، ج٣، ح٥٧٠٩، ص١٠٦.

موعظة وعبرة

خطّة الشيطان:

وفـي أمالي الصـدوق بإسناده إلى الإمام الصادق جعفـر بن محمّد عليه السلام، قال: **«لمّا نزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾[(١)]، صعد إبليس جبلاً بمكّة يُقال له ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته، فاجتمعوا إليه، فقالوا: يا سيّدنا لم دعوتنا؟**

قال: نزلت هذه الآية، فمن لها؟

فقام عفريت من الشياطين، فقال: أنا لها بكذا وكذا.

قال: لست لها.

فقام آخر، فقال مثال ذلك.

فقال: لست لها.

فقال الوسواس الخنّاس: أنا لها.

قال: بماذا؟

قال: أعدهم وأمنّيهم حتى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار.

فقال: أنت لها.

فوكّله بها إلى يوم القيامة»[(٢)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٣٥.

(٢) تفسير الميزان، ٢٠/ ٥٥٧ - تفسير روح المعاني: ٢٦/ ١٧.

وقفة تأمّلية

التفكّر في الرقابة الإلهيّة:

عن الإمام الصادق عليه السلام - في وصية لإسحاق بن عمّار-: «**يا إسحاق، خفِ الله كأنّك تراه، وإن كنت لا تراه؛ فإنّه يراك، وإن كنت ترى أنّه لا يراك؛ فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنّه يراك ثمّ برزت له بالمعصية؛ فقد جعلته من أهون الناظرين عليك**»[١].

تشبيه للرؤية القلبية بالرؤية العينية؛ بهدف الإشارة إلى خاصّيّة بداهة الظهور والوضوح الكامنين في وجود اللّه تعالى، وإحاطته بالعباد وما يصدر عنهم من أعمال.

والمقصود برؤية اللّه تعالى بعين الباطن؛ هو لزوم طاعة اللّه وتقواه على كلّ حال؛ لأنّه لا موضوعية لرؤية اللّه غير إطاعته؛ حيث يوجَد أفرادٌ كُثُر في العالَم مع كونهم عالمين بوجود اللّه وقدرته؛ كأنّهم لا يرونه؛ فيعصونه.

لذا، فالمطلوب من العبد أن يطيع اللّه تعالى؛ بالتزام أوامره، وترك معاصيه؛ جاهداً لأن يجعل ذلك ملكة راسخة في نفسه؛ فيكون للّه تعالى مراقباً على كلّ حال، متزوّداً بخير الزاد ليوم المعاد: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٢].

(١) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الخوف والرجاء، ح٢، ص٦٧-٦٨.

(٢) البقرة: ١٩٧.

10

دوام الذكر والعمل الصالح

يـا رَبِّ يا رَبِّ يا رَبِّ أَسْأَلُك بِحَقِّـكَ وَقُدْسِكَ وَاَعْظَم صِفاتِكَ وَاَسْمائِكَ اَنْ تَجْعَـلَ اَوْقاتي مِـنَ اللَّيْلِ وَالنَّهـارِ بِذِكْرِكَ مَعْمُـورَةً، وَبِخِدْمَتِكَ مَوْصُولَـةً، وَاَعْمالى عِنْدَكَ مَقْبُولَةً حَتّى تَكُونَ اَعْمالي وَاَوْرادى كُلُّها وِرْداً واحِداً وَحالى فى خِدْمَتِكَ سَرْمَداً.

مفاهيم محوريّة:

- التوفيق الإلهي طريق لدوام ذِكْر اللّه.
- الذِكْر الصادق.
- التوحيد في الذِكْر.
- دوام الاتّصال في خدمة اللّه.
- شروط قبول العمل.
- الثبات في خطّ الطاعة.

شرح المفردات:

معمورة: أصلها عَمَرَ: «العين والميم والراء: أصلان صحيحان، أحدهما: يدلّ على بقاء وامتداد زمان، والآخر: على شيء يعلو من صوت أو غيره. فالأوّل: العمر؛ وهو الحياة»[1]. و«العِمَارَةُ: نقيض الخراب... قال تعالى: ﴿**وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ**﴾ (الطور: ٤)»[2].

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٤، مادّة«عَمَرَ»، ص١٤٠.

(٢) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«عَمَرَ»، ص٥٨٦.

أورادي: أصلهـا وَرَدَ: «الـواو والراء والدال: أصلان، أحدهمـا: الموافاة إلى الشيء، والثاني: لون من الألوان»[١].

سرمـداً: «السَّرْمَـدُ: الدّائـم، قـال تعالـى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ (القصص: ٧١)»[٢].

دلالة المقطع:

١- التوفيق الإلهي طريق لدوام ذِكْر الله:

مـا يستوقف الداعي بدعاء كميل في هذا المقطع تلـك الأيمان المغلّظة على الله «**بحقّـك، وقدسـك، وأعظـم صفاتك وأسمائك**»، والمدعوّ بـه هو أن يوفِّق الله تعالى هذا الداعي؛ ليكون ذاكراً لله عزّ وجلّ على الدوام؛ بأن يجعل كلّ أوقاته عامرة بذكر الله. فهل هو مجرّد قول: الله أكبر، والحمد لله، أو سائر التسبيحات؟! تجيب الرواية عـن ذلك بأنّ المطلوب هو الذِكْـر القلبي؛ أي أن يكون الله عزّ وجلّ حاضراً في حياة هذا الإنسان في كافّة الأوقات:

عن الإمام علي عليه السلام: «**ما ابتلي المؤمن بشيء هو أشدّ عليه من خصال ثلاث يحرمهـا، قيل: وما هـنّ؟ قال: المواساة في ذات يـده، والإنصاف من نفسه، وذكر الله كثيراً. أما إنّي لا أقول لكم: سبحان الله والحمد لله، ولكنّ ذكر الله عند ما أُحلَّ له، وذكر الله عند ما حُرِّم عليه**»[٣].

فهو متى كان في ظلّ حلال الله؛ ذَكَر الله؛ بالتوجّه بالشكر إليه، ومتى رأى محرّماً حرَّمه الله عليه؛ ذكر الله؛ فاجتنبه.

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٦، مادّة«وَرَدَ»، ص١٠٥.

(٢) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«سَرْمَدْ»، ص٤٠٨.

(٣) الكليني، الكافي، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الإنصاف والعدل، ح٩، ص١٤٥.

٢- الذِكْر الصادق:

إنّ ذِكْر اللّه باب للوقاية من الذنوب، وهو دليل تعلّق قلب الإنسان الذاكِر باللّه عزّ وجلّ، والسعي إلى لقائه. ولذا، كان الذِكْر الصادق هو الذي يستتبع العمل على لقاء اللّه؛ بالنحو الذي يليق وينبغي؛ أي بأن يلقى اللّه عزّ وجلّ نقي الثوب، طاهراً من الذنوب، وإلّا كان من الاستهزاء أن يطلب الإنسان لقاء اللّه ولا يستعدّ له:

روي عن الإمام الرضا عليه السلام: «**سبعة أشياء بغير سبعة أشياء من الاستهزاء: من استغفر بلسانه، ولم يندم بقلبه؛ فقد استهزأ بنفسه، ومن سأل اللّه التوفيق، ولم يجتهد؛ فقد استهزأ بنفسه، ومن استحزم، ولم يحذر؛ فقد استهزأ بنفسه، ومن سأل اللّه الجنّة، ولم يصبر على الشدائد؛ فقد استهزأ بنفسه، ومن تعوّذ باللّه من النار، ولم يترك شهوات الدنيا؛ فقد استهزأ بنفسه، ومن ذكر اللّه، ولم يستبق إلى لقائه؛ فقد استهزأ بنفسه**»[١].

٣- التوحيد في الذِكْر:

كما تزلّ قدم الإنسان؛ فيشرك بالخالقية، أو الربوبيّة، أو العبوديّة، فإنّه قد تزل قدمه؛ فيشرك في ذِكْر اللّه، فيتعلّق قلبه بغير اللّه، وينسى ذِكْر اللّه. ومن هنا، حذّر القرآن الكريم من بعض المُلهيات المُوجبة لانصراف الإنسان عن ذِكْر اللّه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٢].

هل اختبر الإنسان الموحِّد قلبه؛ في أنّه يأنس بذِكْر اللّه أكثر ممّا يأنس بأحاديث الناس؟! وهل يرى نفسه في أثناء العبادة والدعاء أشدّ أنساً منه بأوقات مجالسة الأصدقاء والسهر والسمر؟! وفي هذا الصدد يعلّمنا الإمام زين العابدين عليه السلام كيف يستغفر الموحِّد من تلك اللحظات التي يأنس فيها بغير ذكر اللّه؛ لأنّ من تعلّق

(١) الكراجكي، أبو الفتح: كنز الفوائد، ط٢، قم المقدّسة، مكتبة المصطفوي؛ مطبعة غدير، ١٣٦٩هـ.ش، ص١٥٢-١٥٣.

(٢) المنافقون: ٩.

قلبه باللّه يرى ذلك ذنباً مُوجباً للبعد، فلا بدّ وأن يعقبه الاستغفار:

عـن الإمام زين العابدين عليه السلام - في مناجـاة الذاكرين -: «**وأستغفرك من كلّ لـذّة بغيـر ذِكْرك، ومـن كلّ راحة بغير أنسك، ومن كلّ سـرور بغير قربك، ومن كلّ شغل بغير طاعتك**»[١].

٤- دوام الاتّصال في خدمة اللّه:

تتمثّل الخدمة في ما ندركه من علاقات الناس بعضهم مع البعض الآخر في قضاء الحوائـج، فـإذا كان لأخيك حاجة فقضيتها لـه؛ فهذا يعني: أنّـك قدَّمت له خدمة. وكذلك في الخادم في المنزل؛ فإنّه يقوم بما يحتاج إليه سيّده ومالكه.

وهـذا المعنـى من الخدمـة؛ أي: قضاء الحوائـج؛ هو مستحيل في حـقّ اللّه عزّ وجـلّ؛ لأنّه الغني بذاته، والـذي لا يحتاج إلى شيء حتى يقضـي أحد حاجته. ولذا، يكـون المُراد مـن خدمة اللّه: الامتثال لطاعـة اللّه على الدوام؛ بـأن يكون الإنسان علـى الدوام في خدمـة اللّه؛ ممتثلاً لأوامره تعالى دائماً. وأهمّ الأوامر الإلهية؛ هي: الصلاة:

عـن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ طاعة اللّه؛ خدمته في الأرض، فليس شيء من خدمته يعدل الصلاة**»[٢].

كمـا أنّ خدمة عبـاد اللّه وقضاء حوائـج النـاس؛ هي مصداق لجعـل الإنسان في خدمة اللّه عزّ وجلّ:

روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**الخلق عيال اللّه، فأحبّ الخلق إلى اللّه؛ من نفع عيال اللّه، وأدخل على أهل بيت سروراً**»[٣].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج٩١، ص١٥١.

(٢) ابن بابويه، محمد بن علي بن الحسين: من لا يحضره الفقيه، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، ط٢، قم المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدّسة، لات، ج١، ح٦٢٣، ص٢٠٨.

(٣) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الاهتمام بأمور المسلمين، ح٦، ص١٦٤.

٥- شروط قبول العمل:

علــى الإنسان العمل؛ ومــن الله قبول الأعمال، ولكن لا بــدّ للإنسان من أن يحقّق شــروط قبــول العمل عند الله، فلا يُدخِل في العمل ما يكون سبباً لرفضه وردّه. وأهمّ شرط لقبول العمل: الإخلاص فيه:

روي عــن رســول ﷺ: «**إذا عَمِلْـتَ عمـلاً؛ فاعمـل لله خالصاً؛ لأنّـه لا يقبل من عباده الأعمال، إلا ما كان خالصاً**»[1].

ومــن شــروط قبول الأعمــال: أن يكون الإنسان مــن أهل التقوى؛ بــأن يكون ممَّن يُحافـظ على طاعــة الله عزّ وجلّ على كلّ حال، وفي هذا نتذكّــر قصّة ابني آدم؛ بما حــكاه القــرآن: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[2].

٦- الثبات في خطّ الطاعة:

مــن أشدّ ما يُبتلَى به الإنسان: أن يطيع الله في بعض الأوقات، ويعصيه في أوقات أخــرى، أو أن يلجــأ إلى الله عنــد الشدائد وينساه في الرخاء. ولــذا، كان القليل من العمل مع المداومة عليه أفضل من الكثير مع الانقطاع:

روي عــن الإمــام الباقــر عليه السلام: «**ما من شــيء أحبّ إلــى الله عزّ وجـلّ مِنْ عمل يداوم عليه، وإن قلّ**»[3].

وفائــدة المداومــة على العمل، ولــو كان قليلاً؛ أن لا ينقطــع الإنسان عن الله عزّ وجلّ:

روي عــن رســول الله ﷺ: «**أمّــا المداومـة علـى الخيـر؛ فيتشعـب منـه: تـرك الفواحش، والبعد من الطيش، والتحرّج، واليقين، وحبّ النجاة، وطاعة الرحمن،**

(١) الطبرسي، مكارم الأخلاق، م.س، ص٤٥٣.

(٢) المائدة: ٢٧.

(٣) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب استواء العمل...، ح٣، ص٨٢.

وتعظيم البرهان، واجتناب الشيطان، والإجابة للعدل، وقول الحقّ؛ فهذا ما أصاب العاقل بمداومة الخير»[١].

وكذلك الحال في الدعاء، وطلب الحاجة من الله؛ فإنّ الإنسان المُداوم على ذِكْر الله عزّ وجلّ يحقّق شروط الاستجابة عند الحاجة:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من تقدّم في الدعاء؛ استُجِيبَ له إذا نزل به البلاء، وقالت الملائكة: صوت معروف، ولم يُحجَب عن السماء، ومن لم يتقدَّم في الدعاء؛ لم يُستجَب له إذا نزل به البلاء، وقالت الملائكة: إنّ ذا الصوت لا نعرفه**»[٢].

ومن الشواهد على كون العمل الصادر من الإنسان بنحو واحد ومتشابه: أن لا يختلف عمله في السرّ عن عمله في العلانية؛ فلا يكون في مرأى الناس أقرب إلى الله منه في الخلوات، أو أشدّ اجتهاداً في العبادة:

روي عن الإمام علي عليه السلام: «**من لم يختلف سرّه وعلانيّته، وفعله ومقالته؛ فقد أدّى الأمانة، وأخلص العبادة**»[٣].

---

(١) الحرّاني، تحف العقول، م.س، ص١٧-١٨.

(٢) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الدعاء، باب التقدّم بالدعاء، ح١، ص٤٧٢.

(٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة، م.س، ج٣، الكتاب٢٦، ص٢٦.

وقفة تأمّلية

التفكّر في آثار ذِكر الله تعالى:

ركّز القرآن الكريم على إدامة حالة الذكر بقسميها اللساني والقلبي في كثير من آياتـه الكريمة؛ لما لها من آثار وبركات في عروج الإنسان نحو الكمال وقربه من الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[٥].

وقـال تعالـى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾[٦].

وقـال تعالـى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾[٧].

والحـال: أنّ ذكر المحبوب مـن أعظم علامات المحبّـة؛ لأنّ مقتضى المحبّة أن يبقى المحبوب حاضراً على لسان المحبّ وفي قلبه؛ على كلّ حال. وكلّما تعمّقت هذه الحالـة الذِكريّـة في نفس الإنسان تجاه الله تعالى؛ كلّمـا ازداد حضور الله تعالى في قلبـه، وازداد بالتالي انقطاعه عمّن سـواه تعالى، إلى أن يصل الإنسان إلى مرحلة لا يشاهد فيها غير الله تعالى.

---

(٤) الأحزاب: ٤١-٤٢.

(٥) طه: ١٤.

(٦) الزمر: ٢٢.

(٧) الزمر: ٢٣.

11

حالات المقرّبين

يـا سَيِّدي يا مَنْ عَلَيْـهِ مُعَوَّلي يا مَنْ اِلَيْهِ شَكَـوْتُ اَحْوالي يا رَبِّ يـا رَبِّ يا رَبِّ، قَوِّ عَلـى خِدْمَتِكَ جَوارِحى وَاشْـدُدْ عَلَى الْعَزيمَةِ جَوانِحـي وَهَـبْ لِيَ الْجِدَّ فـي خَشْيَتِـكَ، وَالدَّوامَ فِـي الاِْتِّصالِ بِخِدْمَتِـكَ، حَتّى اَسْرَحَ اِلَيْكَ في مَياديـنِ السّابِقينَ وَاُسْرِعَ اِلَيْكَ فِـي الْبارِزينَ (الْمُبادِريـنَ) وَاَشْتاقَ اِلى قُرْبِكَ فِـي الْمُشْتاقينَ وَاَدْنُوَ مِنْكَ دُنُوَّ الْمُخْلِصيـنَ، وَأخافَكَ مَخافَةَ الْمُوقِنينَ، وَاَجْتَمِعَ فى جِوارِكَ مَعَ الْمُؤْمِنينَ.

مفاهيم محوريّة:

- قوّة البدن وقوّة الروح.
- المسرعون إلى طاعة اللّه.
- المبادرة لفعل الخير.
- محبّة لقاء اللّه تعالى.
- الخوف مخافة الموقنين.
- مجاورة اللّه وأهل الإيمان.

شرح المفردات:

مُعوَّلي: أصلها عَيَلَ: «العين والياء واللام: ليس فيه إلا ما هو منقلب عن واو. العيلة: الفاقة والحاجة. يقال: عال يعيل عيلةً؛ إذا احتاج»[1]. «قال تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ﴾ (التوبة: ٢٨)؛ العيلة والعالة: الفقر والفاقة»[2].

الجوارح: أصلها جَرَحَ: «الجيم والراء والحاء: أصلان، أحدهما: الكسب، والثاني:

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٤، مادّة«عَيَلَ»، ص١٩٨.

(٢) الطريحي، مجمع البحرين، م.س، ج٥، مادّة«عَيَلَ»، ص٤٣٢.

شقّ الجلد. فالأوّل قولهم اجترح؛ إذا عمل وكسب. قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ (الجاثية: ٢١)؛ وإنّما سمّي ذلك اجتراحا؛ لأنّه عمل بالجوارح؛ وهي الأعضاء الكواسب»[١].

الجوانح: أصلها جَنَحَ: «الجيم والنون والحاء: أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الميل والعدوان... والجوانح الأضلاع؛ لأنّها مائلة»[٢]. «وجناحا الإنسان؛ لجانبيه، قال عزّ وجل: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ (طه: ٢٢)؛ أي: جانبك... قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ (الأنفال: ٦١)؛ أي: مالوا»[٣].

الجدّ: أصلها جَدَّ: «الجيم والدال: أصول ثلاثة، الأوّل: العظمة، والثاني: الحظّ، والثالث: القطع»[٤]. «وسمّي ما جعل الله للإنسان من الحظوظ الدنيوية جَدّاً؛ وهو البخت، فقيل: جُدِدْتُ وحُظِظْتُ. وقوله ﷺ: «لا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ»؛ أي: «لا يُتوصَل إلى ثواب الله تعالى في الآخرة بالجدّ، وإنّما ذلك بالجدّ في الطاعة»[٥].

أسرح: أصلها سَرَحَ: «السين والراء والحاء: أصل مطّرد واحد؛ وهو يدلّ على الانطلاق»[٦].

البارزين: أصلها بَرَزَ: «الباء والراء والزاء: أصل واحد؛ وهو ظهور الشيء وبدوّه»[٧].

أدنو: أصلها دَنَى: «الدال والنون والحرف المعتلّ: أصل واحد يُقاس بعضه على بعض؛ وهو المقاربة. ومن ذلك: الدني؛ وهو القريب؛ من دنا يدنو»[٨]. و«الدّنوّ: القرب بالذّات، أو بالحكم، ويستعمل في المكان والزّمان والمنزلة. قال تعالى:

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج١، مادّة«جَرَحَ»، ص٤٥١.
(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج١، مادّة«جَنَحَ»، ص٤٨٤–٤٨٥.
(٣) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«جَنَحَ»، ص٢٠٦–٢٠٧.
(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج١، مادّة«جَدَّ»، ٤٠٦.
(٥) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة«جَدَّ»، ص١٨٧–١٨٨.
(٦) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٣، مادّة«سَرَحَ»، ص١٥٧.
(٧) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج١، مادّة«بَرَزَ»، ص٢١٨.
(٨) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٢، مادّة«دَنَى»، ص٣٠٣.

﴿وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ﴾ (الأنعام: ٩٩)، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ (النجم: ٨)؛ هذا بالحكم»[١].

الموقنين: أصلها يَقَنَ: «الياء والقاف والنون: اليقن واليقين: زوال الشكّ»[٢].

و«اليَقِينُ من صفة العلم فوق المعرفة والدّراية وأخواتها، يقال: علم يَقِين، ولا يقال: معرفة يَقِين؛ وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم... وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا﴾ (النساء: ١٥٧)؛ أي: ما قتلوه قتلاً تَيَقَّنُوه، بل إنّما حكموا تخميناً ووهماً»[٣].

دلالة المقطع:

١- قوّة البدن وقوّة الروح:

لا بدّ للإنسان عندما يُقدِم على القيام بعمل ما أن يمتلك قوّةً في البدن وقوّةً في الروح؛ أمّا قوّة البدن؛ فهي قوّة الجوارح؛ أي: أن يمتلك قدرة جسمية تجعله يتحمَّل مصاعب القيام بهذا العمل، وأمّا قوّة الروح؛ فهي قوّة الجوانح؛ أي: قوّة الإرادة التي تجعله عازماً مصمّماً على القيام بالعمل.

وترك العمل يعود في الحقيقة إلى فقد الإنسان لأحد هذين السببين: إمّا قوّة البدن، وإمّا قوّة العزيمة؛ فإنّ الله فضَّل من أنبيائه عليهم السلام أولوا العزم من الرسل عليهم السلام؛ لأنّهم أصحاب الإرادة القويّة الثابتة، فقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[٤].

فالإنسان، قد يعاهد عهداً، وينوي الوفاء به، ولكنّه لا يصدّق بذلك؛ لضعف عزمه. ولذا، كان الصدق في الوفاء بالعزم، فإنّ النفس قد تسخو بالعزم في الحال؛ حيث لا مشقّة في الوعد، فإذا حان حين العمل بمقتضاه؛ هاجت الشهوات، وتعارضت

---

(١) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة «دَنَى»، ص٣١٨.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٦، مادّة «يَقَنَ»، ص١٥٧.

(٣) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة «يَقَنَ»، ص٨٩٢-٨٩٣.

(٤) الأحقاف: ٣٥.

مـع باعث الدين، وربّما غلبته؛ بحيث انحلّت العزيمة، ولم يتّفق الوفاء بمتعلّق الوعد، وهـذا يضـادّ الصدق فيـه، ولذلك قـال الله سبحانـه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْـهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾[1]، فهـؤلاء لم يغلبهم شيء من الهوى، أو التعلّق بالدنيا؛ فلم يبدّلوا أبداً.

٢- المسرعون إلى طاعة الله:

قـال تعالـى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْـفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2]، وقـال تعالى-أيضـاً-: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[3].

وعندمـا تقـوم المنافسة بين الناس على أمر، فكلّ من يتعلّـق بذلك الشيء أكثر؛ يكون أسرع من غيره للوصول إليه؛ أي: يكون سبّاقاً. وكذلك الحال في التعلّق بالآخرة، وبالجنّـة ونعيمها، وبلقاء الله عزّ وجلّ؛ فكلّ من يرغب بذلك أكثر؛ سوف يكون أسرع من غيره إليها. ولذا، ورد التعبير في الآيتين: ﴿وَسَارِعُوٓاْ ﴾، و﴿سَابِقُوٓاْ ﴾.

وعـن الإمام زيـن العابدين عليه السلام: «**اعلموا أنّه من اشتاق إلـى الجنّة؛ سارع إلى الحسنـات، وسـلا عـن الشهـوات، ومن أشفق مـن النار؛ بـادر بالتوبـة إلى الله من ذنوبه، وراجع عن المحارم**»[4].

٣- المبادرة لفعل الخير:

ليسـت أيّام الإنسان في هذه الحيـاة سواء؛ فثمّة أيام بيضاء، وأخرى سوداء؛ أي: أيّـام تُتاح فيها الفرصة لـه للعمل والكسب للآخرة، وأيام لا يتمكّن من ذلك. والعاقل

(١) الأحزاب: ٢٣.

(٢) آل عمران: ١٣٣.

(٣) الحديد: ٢١.

(٤) الحرّاني، تحف العقول، م.س، ص٢٨١.

يبادر ويعجل بالكسب قبل أن يفوته ذلك، ولا سيّما بملاحظة أنّ انتفاء القدرة على العمل لها أسبابها المتعدّدة:

فمنها: الاشتغال بعمل آخر يعيق عمل الإنسان في الطاعات والخيرات؛ فعن الإمام علي عليه السلام: «**بادروا بعمل الخير قبل أن تشغلوا عنه بغيره**»[1]. ومنها: أنّ الإنسان قد يغلب عليه الشيطان أحياناً؛ فتكون له فرصة العمل، ولكنّ الشيطان يعيقه عن العمل؛ فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا همّ أحدكم بخير، أو صلة؛ فإنّ عن يمينه وشماله شيطانين، فليبادر لا يكفّاه عن ذلك**»[2].

٤- محبّة لقاء الله تعالى:

إنّ الإنسان بعد المسارعة والمسابقة يصبح في مقام المقرّبين: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾[3]؛ وكلّ ذلك ينبع من الشوق إلى مقام القرب الإلهي.

ومقام القرب هو من المقامات المعنوية الراقية المُتَاحة لهذا الإنسان في هذه الدنيا:

روي: «**أنّ عيسى عليه السلام مرّ بثلاثة نفر؛ قد نحلت أبدانهم، وتغيّرت ألوانهم، فقال لهم: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا: الخوف من النار، فقال: حقّ على الله أن يؤمن الخائف. ثمّ جاوزهم إلى ثلاثة آخرين؛ فإذا هم أشدّ نحولاً وتغيّراً، فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: الشوق إلى الجنّة، فقال: حقّ على الله أن يعطيكم ما ترجون. ثمّ جاوزهم إلى ثلاثة آخرين؛ فإذا هم أشدّ نحولاً وتغيّراً؛ كأنّ على وجوههم المرايا من النور، فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا: نحبّ الله عزّ وجلّ، فقال: أنتم المقرّبون، ثلاثاً**»[4].

---

(١) ابن بابويه، الخصال، م.س، حديث أربعمائة، ص٦٢٠.

(٢) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب تعجيل فعل الخير، ح١، ص١٤٢.

(٣) الواقعة: ١٠-١١.

(٤) الشريف الرضي: نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، لاط، لام، مؤسّسة

ومـن هنـا، تختلف النظـرة إلى المـوت؛ بين من يُحِـبّ لقاء الله، ومـن يبغضه، فالمحِـبُّ لا يبالــي بالموت، بل يشتـاق إليه. وترتبط حالة الشـوق للقاء الله عزّ وجلّ بدرجـة اليقين لدى الإنسان؛ فكلّما زاد يقيـن الإنسان؛ زاد شوقه إلى لقاء الله؛ فعن الإمام علي عليه السلام: «**الشوق شيمة الموقنين**»[١].

وأصحـاب اليقيـن هؤلاء لا يتحمّلـون الانتظار. ولذا، ورد وصفهـم في كلام أمير المؤمنين عليه السلام: «**لولا الآجال التي كتب الله لهم؛ لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين؛ شوقاً إلى لقاء الله والثواب، وخوفاً من العقاب**»[٢].

٥- الخوف مخافة الموقنين:

كلّما ازداد الإنسان معرفة ويقيناً؛ ازداد إيماناً وعملاً وتسليماً.

والخـوف الـذي يعيشه أصحاب اليقيـن هو من أرقى درجات الخـوف؛ فعن الإمام الصـادق عليه السلام: «**إنّ رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلّـى بالناس الصبـح، فنظـر إلـى شـاب فـي المسجـد؛ وهـو يخفق ويهوي برأسه؛ مصفرّاً لونه، قـد نحف جسمه، وغارت عيناه فـي رأسـه، فقال لـه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كيف أصبحت يا فلان؟ قـال: أصبحت يا رسول الله موقناً، فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله، وقال: إنّ لكل يقين حقيقة، فما حقيقة يقينـك؟ فقـال: إنّ يقينـي يـا رسـول الله هـو الـذي أحزننـي، وأسهـر ليلـي، وأظمـأ هواجـري، فعزفـت نفسـي عن الدنيا ومـا فيها، حتى كأنّي أنظر إلـى عرش ربّي وقد نُصِبَ للحساب، وحشر الخلائق لذلك؛ وأنا فيهم... فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: هذا عبد نوَّر الله قلبه بالإيمان. ثمّ قال له: الزم ما أنت عليه. فقال الشاب: ادع الله لـي يـا رسـول الله أن أُرزَق الشهادة معك، فدعا له رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فاستشهد بعد تسعة نفر؛ وكان هو العاشر**»[٣].

اسماعيليان، لات، ج١٠، الخطبة١٨٦، ص١٥٦.

(١) الواسطي الليثي، عيون الحكم والمواعظ، م.س، ص٣٢.

(٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة، م.س، ج٢، الخطبة١٩٣، ص١٦١.

(٣) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب حقيقة الإيمان واليقين، ح٢، ص٥٣.

٦- **مجاورة الله وأهل الإيمان:**

حدّد القرآن الكريم والسنّة الشريفة مواصفات الذين هم جيران الله عزّ وجلّ في الآخـرة؛ وهم المتّقون الذي وصـف الله مكان إقامتهم في الجنّة؛ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾[١].

وهـؤلاء لـم يُدرِكوا ذلـك؛ إلا من خلال ما بذلـوه من جُهد في هـذه الدنيا؛ حتى وصلوا إلى هذا المقام:

روي عـن الإمـام الباقر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق في صعيد واحد، وينادي مُناد من عند الله...: أين أهل الصبر؟... ثمّ ينادي منادٍ آخر... أين أهل الفضل؟... ثمّ ينادي منادٍ من عند الله عـزّ وجـلّ؛ يسمع آخرهم كما يسمـع أولهم، فيقول: أين جيران الله جلّ جلاله في داره؟ فيقـوم عنق من الناس، فتستقبلهم زمرة من الملائكة، فيقولون لهم: ماذا كان عملكـم فـي دار الدنيا؛ فصرتم به اليوم جيران الله تعالى في داره؟ فيقولون: كنّـا نتحـابّ فـي الله عزّ وجـلّ، ونتباذل في الله، ونتـوازر في الله، فينـادي مناد من عنـد الله: صـدق عبـادي، خلّوا سبيلهـم؛ لينطلقوا إلـى جوار الله فـي الجنّة بغير حساب**»[٢].

فالخيـار بيد الإنسان في هـذه الدنيا؛ إن أراد أن يصل إلى جوار الله؛ فعن الإمام علي عليه السلام: «**جوار الله مبذول؛ لمن أطاعه، وتجنّب مخالفته**»[٣].

(١) القمر: ٥٥.

(٢) الطوسي، الأمالي، م.س، المجلس٤، ح١٢، ص١٠٢-١٠٣.

(٣) الواسطي الليثي، عيون الحكم والمواعظ، م.س، ص٢٢٢.

وقفة تأمّلية

التدبّر في صفات أحبّ الخلق إلى الله تعالى:

عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: «عِبَادَ الله! إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ الله إِلَيْه عَبْداً أَعَانَـه الله عَلَى نَفْسِه فَاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ، وتَجَلْبَبَ الْخَوْفَ، فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِه، وأَعَدَّ الْقِرَى لِيَوْمِه النَّازِلِ بِه، فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِه الْبَعِيدَ، وهَوَّنَ الشَّدِيدَ، نَظَرَ؛ فَأَبْصَـرَ، وذَكَـرَ، فَاسْتَكْثَـرَ، وارْتَوَى مِنْ عَـذْبٍ فُرَاتٍ سُهِّلَتْ لَه مَـوَارِدُه، فَشَرِبَ نَهَلًا، وسَلَـكَ سَبِيلًا جَدَداً، قَـدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ، وتَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ، إِلَّا هَمّاً وَاحِداً انْفَـرَدَ بِه، فَخَـرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى، ومُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى، وصَـارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُـدَى، ومَغَالِيـقِ أَبْـوَابِ الـرَّدَى، قَدْ أَبْصَـرَ طَرِيقَه، وسَلَـكَ سَبِيلَه، وعَـرَفَ مَنَارَه، وقَطَـعَ غِمَـارَه، واسْتَمْسَـكَ مِـنَ الْعُـرَى بِأَوْثَقِهَا، ومِـنَ الْحِبَـالِ بِأَمْتَنِهَـا؛ فَهُوَ مِنَ الْيَقِيـنِ عَلَـى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ، قَدْ نَصَبَ نَفْسَـه لِلَّه سُبْحَانَه فِي أَرْفَعِ الأُمُورِ، مِنْ إِصْـدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْـه، وتَصْيِيرِ كُلِّ فَـرْعٍ إِلَى أَصْلِه، مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ، كَشَّافُ عَشَوَاتٍ، مِفْتَـاحُ مُبْهَمَـاتٍ، دَفَّاعُ مُعْضِلَاتٍ، دَلِيلُ فَلَـوَاتٍ؛ يَقُولُ فَيُفْهِمُ، ويَسْكُـتُ؛ فَيَسْلَمُ، قَدْ أَخْلَصَ لِلَّه؛ فَاسْتَخْلَصَه، فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِه، وأَوْتَادِ أَرْضِه، قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَه الْعَدْلَ؛ فَـكَانَ أَوَّلَ عَدْلِـه نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِه، يَصِفُ الْحَقَّ، ويَعْمَلُ بِه، لَا يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَـا، ولَا مَظِنَّـةً إِلَّا قَصَدَهَـا، قَدْ أَمْكَنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِـه، فَهُوَ قَائِدُه، وإِمَامُه؛ يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُه، ويَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُه»[1].

---

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، م.س، ج١، الخطبة٨٧، ص١٥١-١٥٣.

12

التسليم للّه عزّ وجلّ

فَإلَيْـكَ يا رَبِّ نَصَبْـتُ وَجْهي وَإلَيْكَ يـا رَبِّ مَدَدْتُ يَـدي، فَبِعِزَّتِـكَ اسْتَجِبْ لي دُعائي وَبَلِّغْني مُنايَ وَلا تَقْطَعْ مِنْ فَضْلِكَ رَجائي، وَاكْفِني شَـرَّ الْجِنِّ وَالإنْسِ مِنْ اَعْدائي، يا سَريعَ الرِّضا اِغْفِـرْ لِمَنْ لا يَمْلِكُ إلاّ الدُّعـاءَ فَإنَّكَ فَعّالٌ لِما تَشاءُ، يا مَنِ اسْمُـهُ دَواءٌ وَذِكْرُهُ شِفاءٌ وَطاعَتُهُ غِنىً، اِرْحَـمْ مَنْ رَأْسُ مالِهِ الرَّجاءُ وَسِلاحُهُ الْبُكاءُ، يا سابِغَ النِّعَمِ، يا دافِـعَ النِّقَمِ، يا نُورَ الْمُسْتَوْحِشينَ فِـي الظُّلَمِ، يا عالِماً لا يُعَلَّمُ، صَلِّ عَلـى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد وَافْعَلْ بي ما اَنْتَ اَهْلُهُ وَصَلَّى اللهُ عَلى رَسُولِهِ وَالاْئِمَّةِ الْمَيامينَ مِنْ آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْليماً كَثيراً .

مفاهيم محوريّة:

- التسليم عند الدعاء.
- ذكر اللّه تعالى وطاعته دواء وشفاء وغنى.
- سلاح الداعي البكاء.

شرح المفردات:

نصبت: أصلها نَصَبَ: «النون والصاد والباء: أصل صحيح يدلّ على إقامة شيء، وإهداف في استواء»[1].

مناي: أصلها نَوَى: «النون والواو والحرف المعتلّ: أصل صحيح يدلّ على معنيين، أحدهما: مقصد لشيء، والآخر: عجم شيء»[2].

سابغ: أصلها سَبَغَ: «قوله تعالى: ﴿أَعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ﴾ (سبأ: ١١)؛ أي دروعاً واسعة ضافية... وإسباغ النعمة: توسعتها... والسبوغ: الشمول»[3].

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٥، مادّة«**نَصَبَ**»، ص٤٣٤.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٥، مادّة«**نَوَى**»، ص٣٦٦.

(٣) الطريحي، مجمع البحرين، م.س، ج٥، مادّة«**سَبَغَ**»، ص١١.

دلالة المقطع:

١- التسليم عند الدعاء:

عندمـا يتّجـه الإنسان إلـى ربّه؛ بطلب الحاجـة؛ عليه أن يلجـأ إليه؛ وهو في حالة من الاستكانة، والتضـرّع، والخضوع، والخشوع. وهذا ما يظهر على جسده وبدنـه، فيلجأ إلى اللّه عزّ وجلّ؛ وهو قد رفع رأسه، ينظر إلى وجه ربّه، يمدّ يديه مستعطياً اللّه:

روي أنّـه أوحى اللّه تعالى إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ -: «**يا موسـى، كن إذا دعوتني خائفاً مشفقاً وجلاً، وعفّر وجهك في التراب، واسجد لي بمكارم بدنك، واقنت بين يدي في القيام، وناجني حيث تناجيني بخشية من قلب وَجِلْ**»[١].

وروي عـن الإمـام علي بـن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**كان رسـول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يرفـع يديه إذا ابتهل، ودعا كما يستطعم المسكين**»[٢].

ولمّـا كان القنوت؛ أيّ: مدّ اليدين إلى السماء هو من مظاهر التذلّل للّه عزّ وجلّ، حيـث يكون العبد فـي صورة السائـل الفقير المستعطـي؛ كان له صـوره، وقد بيّنها الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لمّا سُئِلَ عن الدعاء ورفع اليدين، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**على خمسة أوجـه: أمّا التعوّذ؛ فتستقبل القبلة بباطن كفّيك، وأمّا الدعاء في الرزق؛ فتبسط كفّيـك فتفضـي بباطنهما إلى السمـاء، وأمّا التبتّـل؛ فإيماؤك بإصبعـك السبّابة، وأمّـا الابتهال؛ فترفع يديك تجاوز بهما رأسـك، وأمّا التضرّع؛ أن تحرّك إصبعك السبّابة ممّا يلي وجهك؛ وهو دعاء الخيفة**»[٣].

٢- ذكر اللّه تعالى وطاعته دواء وشفاء وغنى:

إنّ المرضـ والفقر اللذان يتحدّث عنهما النـاسـ ويريدون بهما -غالباً- المرض

(١) الكليني، الكافي، ج٨، كتاب الروضة، ح٨، ص٤٤.

(٢) الطوسي، الأمالي، م.س، المجلس٢٤، ح١٦، ص٥٨٥.

(٣) الكليني، الكافي، ج٢، كتاب الدعاء، باب البكاء، ح٥، ص٤٨٠-٤٨١.

فـي الأبدان والفقـر في المال، يختلفان عمّا هو متداول فـي التعاليم الإسلامية التي تؤكّـد على وجود أمراض أخرى؛ هي أمراضـ معنوية، وتطلق عليها أمراض القلوب، حيـث وصف اللّه عزّ وجـلّ المنافقين في كتابه بأنّهـم مرضى القلوب: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[1]. كمـا تُطلـق علـى نقص الإيمان والعمل الصالح؛ أنّه فقر.

عـن الإمام الباقـر عليه السلام: «**ما من شـيء أفسـد للقلب مـن خطيئـة؛ إنّ القلب ليواقع الخطيئة، فما تزال به؛ حتى تغلب عليه، فيصير أعلاه أسفله**»[2].

وكمـا أنّ لمعالجة أمراض الأبـدان دواؤها المُوجِب للشفاء منها؛ فكذلك أمراض القلـوب وعلاجهـا بذِكْر اللّه عزّ وجـلّ؛ ففي قراءة القـرآن، والأدعية التي وردت عن المعصوميـن عليهم السلام تُـزال أنواع الشكـوك والشبهات المعترضـة للحقائق والمعارف الحقيقيـة؛ لِمَـا في القـرآن مـن المواعظ الكافيـة الشافيـة، والقصـص، والعبر، والأمثـال، والوعـد، والوعيـد، والإنـذار، والتبشيـر، ومـا تنتهـي إليه نتائـج العلوم الصحيحـة، والأحـكام الحقّة؛ بما يدفع أمراض القلوب، حيـث صرّح القرآن بنفسه عن ذلك، فقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[3]، وقـال -أيضـاً-: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾. نعم، مَـنْ استعصى به مرض القلـب لا يعود قابلاً للشفاء؛ لأنّه لا يتقبّـل الدواء؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾[4].

وعـن الإمام علي عليه السلام: «**إنّ تقـوى اللّه؛ دواء داء قلوبكم، وبصر عمى أفئدتكم،**

---

(١) البقرة: ١٠.

(٢) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الذنوب، ح١، ص٢٦٨.

(٣) الإسراء: ٨٢.

(٤) فصلت: ٤٤.

وشفاء مرض أجسادكم (أجسامكم)، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء عشا (غشاء) أبصاركم»[١].

كمـا أنّ معالجـة الفقـر في العمـل الصالح يكـون بالطاعة لله عزّ وجـلّ؛ لأنّ في طاعتـه غنى عن كلّ شيء؛ فعن الإمام الصادق عليه السلام -في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾-: «**طاعة الله، ومعرفة الإمام**»[٢].

بـل العمل الصالح أفضل تجارة؛ لأنّ ربحه وافر مضمـون؛ وهو ما حدّثنا به أمير المؤمنين عليه السلام: «**من اتّخذ طاعة الله بضاعة؛ أتته الأرباح من غير تجارة**»[٣].

وصـورة الإنسان في طاعـة الله صورة يحبّها الله عزّ وجـلّ، حيث روي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ أحبّ الخلائق إلى الله عزّ وجلّ شاب حدث السنّ، في صورة حسنة، جعل شبابه وجماله لله وفي طاعته؛ ذلك الذي يباهي به الرحمن ملائكته، يقول: هذا عبدي حقّاً**»[٤].

٣- سلاح الداعي البكاء:

لا يستحي الإنسان من البكاء بين يدي الله عزّ وجلّ، وإن كان يرى ذلك عيباً على أمر من أمور الدنيا. وعليه أن يعتبر ذلك فخراً إذا كان لله عزّ وجلّ:

روي عـن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم – في حديث بيـن النبي زكريـا عليه السلام وابنه النبي يحيـى عليه السلام -: «**أنّ بيـن الجنّـة والنّـار عقبـة لا يجوز منهـا؛ إلا البـكّاؤن من خشية الله**»[٥].

وروي عـن النبـيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الله تعالـى أخبرني، فقـال: «**وعزّتي وجلالـي ما أدرك**

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، م.س، ج٢، الخطبة١٩٨، ص١٧٣.
(٢) الكليني، الكافي، م.س، ج١، كتاب الحجّة، باب فرض طاعة الأئمّة عليهم السلام، ص١٨٥.
(٣) الواسطي الليثي، عيون الحكم والمواعظ، م.س، ص٤٥٨.
(٤) المتّقي الهندي، كنز العمّال، م.س، ج١٥، ح٤٣١٠٣، ص٧٨٥.
(٥) النيسابـوري، محمـد بن الفتّـال: روضة الواعظين، تقديـم محمد مهدي الخرسـان، مجلس في الزهد والتقـوى، لاط، قم المقدّسة، منشورات الشريف الرضي، ص٤٣٤-٤٣٥.

العابدون درك البكاء عندي شيئاً؛ فإنّي لأبني لهم في الرفيق الأعلى قصراً لا يشاركهم فيه غيرهم»[١].

والبكاء سبيل وقاية في يوم القيامة، فمن بكت عيناه في الدنيا لن تبكيان في يوم القيامة:

روي: «**ما مِنْ عين إلا وهي باكية يوم القيامة؛ إلا عين بكت من خشية الله، وما اغرورقت عين بمائها من خشية الله؛ إلا حرّم الله سائر جسده على النّار، ولو فاضت على خدّه لم يرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلَّة، وما من شيء إلا وله كيل أو وزن؛ إلا الدمعة؛ فإنّ الله يطفئ باليسير منها بحاراً من النار، ولو أنّ عبداً بكى في أمّة لرحم الله تلك الأمّة؛ ببكاء ذلك العبد**»[٢].

(١) الطوسي، الأمالي، م.س، المجلس١٩، ح١، ص٥٣٢.

(٢) الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب اجتناب المحارم، ص٤٨٢.

وقفة تأمّلية

التدبّر في صفات المتّقين:

عن الإمام علي عليه السلام في وصفه للمتّقين: «فَهُمْ والْجَنَّةُ؛ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وهُمْ والنَّارُ؛ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ، قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ، صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً؛ أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً، تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ، أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا، فَلَمْ يُرِيدُوهَا، وأَسَرَتْهُمْ؛ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا. أَمَّا اللَّيْلَ، فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلاً، يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، ويَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ، فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً، وتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً، وظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، وإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ، أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ، فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وأَكُفِّهِمْ ورُكَبِهِمْ وأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى الله تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ، وأَمَّا النَّهَارَ؛ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ، قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ، فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى، ومَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ، ويَقُولُ لَقَدْ خُولِطُوا، ولَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ، لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، ولَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ، فَهُمْ لأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ، ومِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ، إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ؛ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَه، فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي، ورَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي، اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، واجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ»[1] .

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، م.س، ج٢، الخطبة١٩٣، ص١٦١-١٦٢.

الفهرس